﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات:

ومن أظلم ممن كذب على الله؟ : أي بأن نسب إليه ما هو بريء منه كالزوج والولد والشريك.

وكذب بالصدق إذ جاءه؟ : أي بالقرآن والنبي والتوحيد والبعث والجزاء.

مثوى للكافرين : أي مأوى، ومكان إقامة ونزول

والذي جاء بالصدق وصدَّق به : محمد ﷺ، والذي صدق به أبو بكر وكل أصحاب رسول الله.

أولئك هم المتقون : أي لعذاب الله بإيمانهم وتقواهم بترك الشرك والمعاصي.

ذلك جزاء المحسنين : أي المذكور من نعيم الجنة جزاء المحسنين في أعمالهم.

ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا: أي ييسر الله لهم ذلك ويوفقهم إليه ليكفر عنهم ذنوبهم.

معنى الآيات:

يخبر تعالى عباده منذراً محذراً بأنه لا أظلم من أحد كذب على الله. فقال عنه ما لم يقل أو حرّم ولم يحرم أو أذن ولم يأذن، أو شرع ولم يشرع، أو كذب بالصدق وهو القرآن والنبي وماجاء به من الهدى ودين الحق أي فلا أحد أظلم ممن كان هذا حاله كذب على الله وكذب بالصدق.

وقوله تعالى: ﴿أليس[1] في جهنم مثوى للكافرين﴾؟ هذا بيان لجزاء الكاذبين والمكذبين وهم الكافرون بسبب كذبهم على الله وتكذيبهم له فيخبر تعالى مقرراً أن جزاءهم الإقامة

(١) الاستفهام تقريري والمثوى مكان الإقامة وهو مصدر ثوى بالمكان يثوى ثواء وثوياً مثل مضى يمضي مضاء ومُضياً.

الدائمة في جهنم. وقوله تعالى :﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾[1] هذا إخبار بفريق الفائزين من عباد الله وهم الصادقون في كل ما يخبرون به، والمصدقون بما أوجب الله تعالى التصديق به ويدخل في هذا الفريق دخولا أولياً رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ثم سائر الصحابة والمؤمنين إلى يوم الدين.

وقوله تعالى :﴿أولئك هم المتقون﴾[2] يشير إليهم بأنهم اتقوا كل ما يغضب الله من الشرك والمعاصي، وبذلك استوجبوا النجاة من النار ودخول الجنة المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿لهم مايشاءون عند ربهم﴾ من نعيم بعضه لم يخطر على بال أحد، ولم تره عين أحد ولا تسمع به أذنه.

وقوله: ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾[3] أي ذلك المذكور في قوله لهم مايشاءون عند ربهم ذلك هو جزاؤهم وجزاء المحسنين كلهم والمحسنون هم الذين أحسنوا الاعتقاد والقول والعمل وقوله تعالى :﴿ليكفر عنهم[4] أسوأ الذي عملوا﴾أي من الذنوب والآثام والخطايا والسيئآت أي وفقهم للإحسان ويسره لهم، ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا وسيئه ويجزيهم أجرهم على إيمانهم وتقواهم وإحسانهم في ذلك بأحسن ما كانوا يعملون وحسنه أيضا وإنما يضاعف لهم الأجر فتكون الحسنات الصغيرة كالكبيرة فأصبح الجزاء كله على الأحسن والذي كانوا يعملون هو كل ما شرعه الله تعالى لعباده وتعبدهم به من الإيمان وسائر الطاعات والقربات.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ التنديد بالكذب على الله تعالى والتكذيب به، وبما جاء به رسوله ﷺ من الدين.

٢ ـ بيان جزاء الكاذبين على الله ورسوله والمكذبين بما جاء به رسول الله عن الله من الشرع والدين.

---

(١) والذي جاء بالصدق مبتدأ والخبر أولئك هم المتقون. وعليه فالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ ومن صدق به هم أبو بكر وسائر المؤمنين وفي الآية حذف الموصول وهو «من» لدلالة السياق عليه.

(٢) أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والمتقون خبر، والجملة خبر عن المبتدأ الذي هو والذي جاء بالصدق والمعطوف عليه والموصول محذوف وهو من او إذ لايكون من جاء بالصدق هو المصدق به.

(٣) الثناء في الدنيا والثواب في الآخرة.

(٤) في الآية الإشادة بأصحاب رسول الله ﷺ إذ أثبت لهم التصديق بما جاء به رسوله كما أثبت لهم التقوى والإحسان وواعدهم بالنعيم المقيم الذي ادخره لهم. وفي الحديث الصحيح «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبّي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ربي ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».

٣ ـ الترغيب في الصِّدق في الاعتقادات والأقوال والأعمال.

٤ ـ فضل التقوى والإحسان وبيان جزائهما عند الله تعالى يوم القيامة.

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

أليس الله بكاف عبده؟ : بلى هو كاف عبده ورسوله محمداً ﷺ كل ما يهمه.

ويخوفونك بالذين من دونه : أي بالأصنام والأوثان أن تصيبك بما يسوءك ويضرك.

أليس الله بعزيز ذي انتقام : بلى بل هو عزيز غالب على أمره صاحب انتقام شديد على من عاداه.

ليقولن الله : أي لوضوح البرهان وقوة الدليل وانقطاع الحجة.

قل أفرأيتم : أي أخبروني.

هل هن ممسكات رحمته : والجواب لا لا إذاً فقل حسبي الله ، ولا حاجة لي بغيره.
اعملوا على مكانتكم : أي على حالتكم التي أنتم من الكفر والعناد.
إني عامل : أي على حالتي التي أنا عليها من الإيمان والانقياد.
من يأتيه عذاب يخزيه : أي في الدنيا بالقتل والأسر والجوع والقحط.
ويحل عليه عذاب مقيم : أي وينزل عليه عذاب مقيم لا يبرح وهو عذاب النار بعد الموت.

معنى الآيات :

مازال السياق في الدفاع عن الرسول والرد على مناوئيه وخصومه الذين استبطأوا موته فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ فلا شماتة إذاً في الموت وقوله : ﴿أليس الله بكاف عبده﴾[1] دال على أن القوم حاولوا قتله ﷺ لما لم يمت بأجله وفعلا قد قرروا قتله وأعطوا الجوائز لمن يقتله، ففي هذه الآية طمأن الله رسوله على أنهم لا يصلون إليه وأنه كافيه مؤامراتهم وتهديداتهم فقال عز وجل أليس الله بكاف عبده؟ والجواب بلى إذ الاستفهام تقريري كافيه كُلَّ ما يهمه ويسوءه وقوله : ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾[2] أي ويخوفك يارسولنا المشركون بما يعبدون من دوننا من اصنام وأوثان بأن تصيبك بقتل أو خبل فلا يهمك ذلك فإن أوثانهم لا تضر ولا تنفع ولا تجلب ولا تدفع ، وقوله : ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾ ، وقد هداك ربك فليس لك من يضلك أبداً ، كما أن من أضله الله كقومك فليس له من هادٍ يهديه أبداً. وقوله تعالى : ﴿أليس الله بعزيز ذي انتقام﴾[3] بلى فهو إذاً سينتقم من أعدائه لأوليائه ان استمروا في أذاهم وكفرهم وعنادهم ، وقد فعل سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض﴾ أي أوجدهما من غير مثال سابق ﴿ليقولن الله﴾ فما دام اعترافهم لازماً بأن الله تعالى هو الخالق فلم عبادة غيره والإصرار عليها مما أفضى بهم إلى أذية المؤمنين وشن الحرب عليهم وقوله :﴿قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله﴾ أي من الأصنام والأوثان أخبروني ﴿إن أرادني الله بضرٍ﴾ ما ﴿هل هنَّ كاشفات ضره أو أرادني برحمة﴾ صحة وعافية وغنى ونصر ﴿هل هنَّ ممسكات رحمته﴾[4] والجواب لا فإنها جماد لا تقدر

---

(١) الاستفهام للتقرير، وحذفت ياء كاف لانه اسم منقوص وترد في الوقف جوازا وقرأ الجمهور عبده وقرأ غيرهم عباده ليدخل المؤمنون معه ﷺ.

(٢) هذا شاهده قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام وكيف أخاف ماأشركتم فإنهم خوفوه بآلهتهم فأنكر عليهم ذلك وعابهم بعدم الخوف من الله تعالى.

(٣) الاستفهام تقريري والجملة تحمل الوعيد الشديد للمشركين الكائدين الماكرين بالرسول ﷺ والمؤمنين والانتقام المكافأة بالشر على الشر وهو مشتق من النقم الذي هو الغضب.

(٤) قال مقاتل فسألهم رسول الله ﷺ فسكتوا وقال بعضهم لا تدفع شيئا ولكنها تشفع!!

على إعطاء ولا على إمساك إذاً فقل حسبي الله أعبده وأتوكل عليه إذ هو الذي يضر وينفع ويجلب الخير ويدفع السوء والشر. وقوله ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ أي على الله وحده يتوكل المتوكلون فيثقون في كفايته لهم فيفوضون أمورهم إليه ويتعلقون به. وينفضون أيديهم من غيره.

وقوله تعالى: ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي لما أبيتم إلا العناد مصرين على الشرك بعد ما قامت الحجج والأدلة القاطعة على بطلانه فاعملوا على مكانتكم أي حالتكم التي عليها من الشرك والعناد ﴿إني عامل﴾ أنا على حالتي من الإيمان والتوحيد والانقياد. والنتيجة ستظهر فيما بعد لا محالة ويعلم المحق من المبطل، والمُهتدي من الضال وهي قوله تعالى: ﴿فسوف تعلمون من يأتيه[1] عذاب يخزيه﴾ أي يذله ويكسر أنفه بالقتل والأسر والجوع والقحط وقد أصاب المشركين هذا في مكة وبدر. وقوله: ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ وهو عذاب النّار في الآخرة نعوذ بالله من العذابين عذاب الخزي في الحياة الدنيا وعذاب النار في الدار الآخرة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - تقرير كفاية الله وولايته لعباده المؤمنين وخاصة ساداتهم من الأنبياء والأولياء.

٢ - تقرير مقتضى الولاية وهو النقمة من أعدائه تعالى لأوليائه وإن طال الزمن.

٣ - تقرير التوحيد وإبطال التنديد.

٤ - مظاهر ربوبية الله الموجبة لألوهيته.

٥ - وجوب التوكل على الله واعتقاد كفايته لأوليائه.

٦ - تقرير إنجاز الله وعده لرسوله والمؤمنين.

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى

---

(١) (من) استفهامية علقت فعل تعلمون عن العمل في مفعوليه.

لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

شـرح الكلمات :

إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق : أي أنزلنا عليك يارسولنا القرآن بالحق أي ملتبساً به.

وما أنت عليهم بوكيل : أي ليس عليك أمر هدايتهم فتجبرهم على الإيمان

الله يتوفى الأنفس حين موتها : أي ينهي حياة العباد بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

والتي لم تمت في منامها : أي يتوفاها وقت النوم يحبسها عن التصرف كأنها شيء مقبوض.

فيمسك التي قضى عليهاالموت: أي يقبضها لحكمة بالموت عليها حال النوم.

ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى : أي التي لم يحكم بموتها يرسلها فيعيش صاحبها إلى نهاية أجله المعدود له.

إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون : أي في قبض الأرواح وإرسالها، والقدرة على ذلك دلائل وبراهين على قدرة الله تعالى على البعث الذي أنكره المشركون.

أم اتخذوا من دون الله شفعاء : أي أن كفار مكة لايتفكرون ولو كانوا يتفكرون لما انكروا البعث، ولا ما اتخذوا من دون الله شفعاء لوضوح بطلان ذلك.

قل أولو كانوا لايملكون شيئاً : أي قل لهم أيشفع لكم شركاؤكم ولو كانوا لايملكون شيئاً ينكر عليهم دعواهم الشفاعة لهم وهي أصنام لا تملك ولا تعقل.

قل لله الشفاعة جميعا : أي أخبرهم أن جميع الشفاعات لله وحده فشفاعة الأنبياء والشهداء والعلماء والأطفال مملوكة لله فلا يشفع أحد إلا بإذنه.

وإذا ذكر الله وحده اشمأزت : أي وإذا ذكر الله وحده كقول الرسول ﷺ لا إلا إلا الله نفرت نفوس المشركين وانقبضت وظهر الغضب والسخط في وجوههم.

وإذا ذكر الذين من دونه : أي الأصنام والأوثان التي يعبدونها من دون الله تعالى.

إذا هم يستبشرون : أي فرحون جذلون وذلك لافتتانهم بها ونسيانهم لحق الله تعالى وهو عبادته وحده مقابل خلقه ورزقه لهم.

معنى الآيات :

إن السياق الكريم كان في عرض الصراع الدائر بين الرسول ﷺ وقومه المشركين فدافع الله تعالى عن رسوله ودفع عنه كل أذى ومكروه وتوعد خصومه بالعذاب في الدنيا والآخرة وهنا يسليه ويصبره فيقول له ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾[1] أي القرآن ﴿للناس﴾ أي لهداية الناس واصلاحهم ﴿بالحق﴾ أي ملتبساً بالحق، فمن اهتدى بالقرآن فآمن وعمل صالحاً فعائد ذلك له حيث ينجو من النار ويدخل الجنة، ومن ضل لعدم قبوله هداية القرآن فأصر على الشرك والمعاصي فإنما يضل على نفسه أي عائد ضلاله على نفسه إذ هو الذي يحرم الجنة ورضا الله تعالى ويُلقى في النار خالداً فيها وعليه غضب من الله لايفارقه أبداً.

وقوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي لم يوكل إليك أمر هدايتهم فتجد نفسك في هم من ذلك إن عليك إلا البلاغ المبين إنك لم تكلف حفظ أعمالهم ومحاسبتهم عليها، ولا أمر هدايتهم فتجيرهم على ذلك.

---

(١) في الآية مزيد بيان شرفه ﷺ بإنزال الكتاب عليه وتقرير رسالته، واللام في للناس للتعليل والباء في بالحق للملابسة. وفي الكلام محذوف تقديره لنفع الناس وهدايتهم بقرينة قوله بعد «فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه».

وقولـه تعـالى: في الآية الثـانية من هذا السياق (٤٢) ﴿الله يتوفى الأنفس﴾[١] أي يقبض أرواحها ﴿حين موتها﴾ أي عند نهاية أجلها فيأمر تعالى ملك الموت فيخرج الروح بإذن الله ويقبضها، ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي يقبضها بمعنى يحبسها عن التصرف، حال النوم، فإن أراد موتهـا قبضهـا ولم يردهـا إلى جسدها، وإن لم يرد وفاتها أرسلها فتعود إلى الجسد ويعيش صاحبها إلى الأجل المسمى له وهي[٢] نهاية عمره إن في ذلك القبض للروح والإرسال، والـوفـاة والإحياء لآيات اي دلائل وحجج كلها قاضية بأن القادر على هذا قادر على البعث والنشـور الـذي كذب به المشـركون كما أن صاحب هذه القدرة العظيمة هو صاحب الحق المـطلق في الـطاعـة والعبادة ولا تنبغي العبادة إلا له. وقوله ﴿لقوم يتفكرون﴾ وهم الأحياء بالإيمان أما الأموات وهم الكافرون فلا يجدون في ذلك آية ولا دليلاً وذلك لموتهم بالشرك والكفر.

وقوله تعالى: في الآية الثالثة (٤٣) ﴿أم[٣] اتخذوا من دون الله شفعاء﴾أي بل اتخذ المشركون الذين كان المفروض فيهم أن يهتدوا على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة لو كانوا يتفكرون بدل أن يهتدوا إلى توحيد الله اتخذوا من دونه أوثانا سموها شفعاء يرجون شفاعتها لدى الله في قضـاء حوائجهم. وذلـك لجهلهم وسخف عقـولهم. قال تعالى لرسوله: ﴿ قل أولو كانوا لا يملكـون شيئـاً ولا يعقلون﴾ أي قل لهم ايشفعون لكم ولو كانوا لايملكون شيئاً من أسباب الشفـاعـة ومقتضياتهـا ولـو كانـوا لايعقلون معنى الشفاعة ولا يفهمونه لأنهم أصنام وأحجار والاستفهـام للتبكيت والتقريع. لو كان القـوم يشعـرون. ثم أمر تعالى رسوله أن يعلن عن الحقيقة وإن كانت عند المشركين مُرة ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ أي جميع أنواع الشـفاعة هي ملك لله مختصـة به فلا يشفع أحد إلا بإذنه، إذاً فاطلبوا الشفاعة من مالكها الذي له ملك السموات والأرض، لا ممن هو مملوك له، ولا يعقل حتى معنى الشفاعة ولا يفهمها وقوله ثم

---

(١) المـراد بالأنفس الناس الذين يموتون إذ لفظ النفس يطلق على الذات ويطلق على الروح قال ابن عباس وغيره من المفسرين إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها، قال علي رضي الله عنه فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها فلقيها الشياطين وتخيل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة.

(٢) شاهد هذا من السنة حديث الصحيحين وفيه قوله ﷺ إذا اوى أحدكم إلى فراشه فلينفض بداخلة إزاره فإنه لا يدري من خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. والشاهد في إمساك الروح في المنام وإرسالها.

(٣) أم هذه هي المنقطعة وهي للإضراب الانتقالي وهو انتقال من تشنيع شركهم إلى إبطال معاذيرهم في شركهم.

إليه ترجعون أي بعد الموت أحببتم أم كرهتم؟ فاتخذوا لكم يداً عنده بالإيمان به وتوحيده في عبادته.

وقوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ هذا كشف عن حال المشركين، وما هم عليه من الجهل والسفه إنهم إذا سمعوا لا إله إلا الله ينفرون وينقبضون ويظهر ذلك غضباً في وجوههم، يكادون يسطون على من قال لا إله إلا الله، وإذا ذكر الذين من دونه أي وإذا ذكر الأصنام التي يعبدونها من دون الله إذا هم يستبشرون فرحون مسرورون، وهذا عائد إلى افتتانهم بأصنامهم، ونسيانهم لحقوق ربهم عليهم وهي الإيمان به وعبادته وحده مقابل ما خلقهم ورزقهم ودبر حياتهم، ولكن أنى لأهل ظلمة النفس وانتكاس القلب أن يعوا ويفهموا؟

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر والثبات في أصعب الظروف.

٢ - مظاهر قدرة الله في الموت والحياة مما يقتضي الإيمان به وبلقائه وتوحيده.

٣ - إبطال حجة المشركين في عبادة الأوثان من أجل الشفاعة لهم إذ الشفاعة كلها لله.

٤ - بيان خطأ من يطلب الشفاعة من غير الله، إذ لا يملك الشفاعة إلا هو.[1]

٥ - بيان سفه المشركين وضلالهم في غضبهم عند سماع التوحيد، وفرحهم عند سماع الشرك.

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

(١) الشفاعة أمر معنوي فملكها معناه تحصيل إجابتها إذ الأمور المعنوية لا تملك.

شـــرح الكلمـات :

قل اللهم فاطر السموات والأرض: قل يانبينا: يا الله ياخالق السماوات والأرض.

عالم الغيب والشهادة : أي ياعـالم الغيب وهو كل ما غاب عن الأبصار والحواس والشهادة خلاف الغيب.

فيما كانوا فيه يختلفـــون : أي من أمور الدين عقائد وعبادات.

ولو أن للذين ظلمـوا : أي ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي.

وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون: أي وظهر لهم من عذاب الله ما لم يكونوا يظنونه.

وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون: وأحاط بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿قل اللهم﴾[1] هذا إرشاد من الله تعالى لرسوله أن يفزع إليه بالدعاء والضراعة إذ استحكم الخلاف بينه وبين خصومه وضاق الصدر أي قل يارسولنا يا الله ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي خالقهـا، ﴿عـالم الغيب والشهـادة﴾ أي ما غاب عن الأبصار والحواس فلم يُدركْ، والشهـادة وهـو مارؤي بالأبصـار وأدرك بالحواس ﴿أنت تحكم بين عبادك﴾ مؤمنهم وكـافـرهم ﴿فيمـا كانـوا فيه يختلفون﴾ من الإيمان بك وبلقائك وصفاتك وعبادتك ووعدك ووعيدك اهدني لما اختلفوا فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

وقوله تعالى: ﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ أي أنفسهم بالشرك وهو الظلم العظيم وبغشيان المعاصي والذنوب لو أن لهم عند معاينة العذاب يوم القيامة ﴿ما في الأرض جميعاً﴾ من أموال ونفائسها ومثله معه وقبل منهم الفداء ﴿لافتدوا به من سوء العذاب﴾ ولما تردَّدوا أبداً وهذا دالٌّ على شدَّة العذاب وأنه لا يطاق ولا يُحتَمَل مع حرمانهم من الجنة ونعيمها.

وقوله تعالى: ﴿وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون﴾[2] أي وظهر لهم أي لأولئك الذين إذا ذكر الله وحده اشمـأزت قلوبهم وإذا ذكرت الأصنام فرحوا بذلك واستبشروا وبدا لهم من ألوان العذاب ما لم يكونوا يظنون ولا يحتسبون. وقوله تعالى: ﴿وبدا لهم سيئات[3] ماكسبوا﴾ أي من

---

(١) رواه مسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان يستفتح به صلاته من الليل وروي عن سعيد بن جبير انه قال إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط فسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه قوله ﴿قل اللهم فاطر السموات﴾ .. الخ».

(٢) روي أن محمد ابن المنذر جزع عند موته جزعاً شديداً وقيل له ما هذا الجزع؟ قال: أخاف آية من كتاب الله ﴿وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون﴾.

(٣) السيئات جمع سيئة وهو وصف اضيف إلى موصوفه وهو الموصول ﴿ماكسبوا﴾ أي مكسوباتهم السيئات وتأنيثها باعتبار شهرة إطلاق السيئة على الفعلة القبيحة.

الشرك والكفر والفسق والعصيان أي ظهر لهم وتجلى أمامهم فاشتد كربهم وعظم الأمر عندهم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون أي أحاط بهم وحدق عليهم العذاب الذي كانوا إذا ذكر لهم وعيداً وتخويفاً استهزأوا به وسخروا منه وممن يذكرهم به ويخوفهم منه كالرسول ﷺ والمؤمنين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - مشروعية اللجوء إلى الله تعالى عند اشتداد الكرب وعظم الخلاف والدعاء بهذا الدعاء وهو «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» إذ ثبتت السنة به.

والآية ذكرت أصله.

٢ - بيان عظم العذاب وشدته يوم القيامة وأن المرء لو يقبل منه فداء لا فتدى منه بما في الأرض من أموال ومثله معه.

٣ - التحذير من الاستهزاء بأخبار الله تعالى ووعده ووعيده.

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

شـــرح الكلمـات :

فإذا مس الإنسان ضر دعانا : أي أصـاب الإنسان الكافر ضُر أي مرض وغيره مما يضره دعانا أي سأل كشف ضره.

ثم إذا خولناه نعمة منا : ثم إذا خولناه أي أعطيناه نعمة منا من صحة أو مال وغيرهما.

قال إنما أوتيته على علم : قال أي ذلك الكافر إنما أوتيت ذلك العطاء على علم من الله بأني استحقه

بل هي فتنة : أي تلك النعمـة لم يعطها لأهليته لها، وإنما أعطيها فتنةً واختباراً له.

ولكن أكثرهم لا يعلمون : أي أن ما أعـطوه من مال وصحة وعافية هو فتنة لهم وليس لرضا الله تعالى عنهم.

قد قالها الذين من قبلهم : أي قال قولتهم من كان قبلهم كقارون فلم يلبثوا أن أخذوا فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون.

والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم: أي والذين ظلموا بالشرك من هؤلاء أي من كفار قريش.

سيئات ما كسبوا.[1] : أي كما أصاب من قبلهم وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا في بدر.

وما هم بمعجزين : أي فائتين الله تعالى ولا غالبين له.

أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق: أي أقالوا تلك المقالة ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق.

لمن يشاء ويقدر : أي يوسعه لمن يشاء امتحاناً، ويضيقه ابتلاء.

إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون : أي إن في ذلك المذكور من التوسعة امتحانا والتضييق ابتلاء لآيات أي علامات على قدرة الله وكمال تدبيره لأمور خلقه.

معنى الآيات :

مازال السياق في بيان حيرة المشركين وفساد قلوبهم نتيجة كفرهم وجهلهم فقوله تعالى:

---

(١) أي أصابهم سوء كسبهم وقبحه وهو ما عملوه من سيئات الشرك والمعاصي.

﴿فإذا مسَّ[1] الإنسان ضرٌّ دعانا﴾ يعني ذاك الكافر الذي إذا ذكر الله وحده اشمأزّت نفسه وإذا ذكرت الأوثان سُر وفرح واستبشر هذا الإنسان إذا مسَّه ضرٌ من مرض أو غيره مما يضر ولا يسر دعا ربَّه منيباً إليه ولم يشرك معه في هذه الحال أحداً لعلمه أن الأوثان لا تكشف ضراً ولا تعطي خيراً، وإذا خوله الله تعالى نعمة من فضله ابتلاء له قال إنَّما أوتيت الذي أوتيت على علم من الله بأني أهل لذلك[2]، فأكذبه الله تعالى فقال بل هي فتنة، ولكن أكثرهم أي أكثر المشركين لايعلمون أن الله تعالى إذا أعطاهم إنما أعطاهم ليفتنهم لا لحبه لهم ولا لرضاً عنهم. والدليل على أن ذلك العطاء للمشركين فتنة لا غير أن قولتهم هذه قد قالها الذين من قبلهم كقارون وغيره فلم يلبثوا حتى أخذهم الله بذنوبهم فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون من أموال طائلة، قال تعالى: فأصابهم سيئات ما كسبوا فلم يؤخذوا بدون ذنب بل أخذوا بذنوبهم وهو قوله تعالى فأصابهم[3] سيئات ما كسبوا وقوله تعالى والذين ظلموا من هؤلاء أي من كفار قريش سيصيبهم أيضاً سيئات ما كسبوا من الشرك والعناد والظلم، وماهم بمعجزين لله فائتينه أبداً وكيف وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا وأسروا في بدر والفتح.

وقوله تعالى أو لم[4] يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي أقالوا مقالتهم تلك ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء امتحاناً له أيشكر أم يكفر ويقدر أي يضيق على من يشاء ابتلاء له أيصبر أم يضجر ويسخط فلم يكن بسطه الرزق حباً في المبسوط له، ولا التضييق كرهاً للمضيق عليه، وإنما البسط كالتضييق لحكمة التربية والتدبير، ولكن الكافرين لايعلمون هذا فجهلهم بالحكم جعلهم يقولون الباطل ويعتقدونه أما المؤمنون فلا يقولون مقالتهم لعلمهم ونور قلوبهم فلذا هم يجدون الآيات في مثل هذا التدبير واضحة دالة على علم الله وحكمته وقدرته فيزدادون إيمانا ونوراً وبصيرة.

هداية الآيات:

١ ـ بيان تناقض أهل الكفر والجهل والضلال في كل حياتهم لأنهم يعيشون على ظلمة الجهل

---

(١) في هذه الآية بيان حقيقة وهي أن كفار قريش كانوا يؤمنون بالله ربا فهم أفضل من كفار البلاشفة الشيوعيين الذين لا يؤمنون بالله تعالى كما أن كفار قريش أحسن حالاً من بعض جهال المسلمين اليوم إذ يخلصون الدعاء لله في الشدة وجهال المسلمين يشركون في الرخاء والشدة معاً وذلك بدعائهم الأولياء والأموات والاستغاثة بهم في كل حال.

(٢) قال بعضهم على علم أي بوجوه الكسب وطرق تنمية المال وتكثيره حتى لا يحمد الله ولا يشكره ولا منافاة بين هذا وما في التفسير إذ بعضهم يقول هذا وبعض يقول ذاك.

(٣) أي جزاء سيئات كسبهم من الشرك والشر والفساد.

(٤) الاستفهام إنكاري ينكر تعالى عليهم انتفاء علمهم بذلك لأنهم تسببوا في انتفاء العلم فلذا تضمن الاستفهام توبيخاً لهم.

والكفر.

٢ ـ تقرير ما من[1] مصيبة إلا بذنب جلي أو خفي كبير أو صغير.

٣ ـ بيان أن بسط الرزق وتضييقه على الأفراد أو الجماعات لا يعود إلى حُب الله للعبد أو كرهه له، وإنما يعود لسنن التربية الإلهية وحكم التدبير لشؤون الخلق.

٤ ـ أهل الإيمان هم الذين ينتفعون بالآيات والدلائل لأنهم أحياء يبصرون ويعقلون أما أهل الكفر فهم أموات لايرون الآيات ولايعقلونها.

٥ ـ تهديد الله تعالى للظالمين ووعيده الشديد بأنه سيصيبهم كما أصاب غيرهم جزاء ظلمهم وكسبهم الفاسد.

۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

---

(١) شاهده قوله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ الآية من الشورى وقوله ﷺ «والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو عنه أكثر» رواه ابن أبي حاتم. قال لما نزلت هذه الآية قاله رسول الله ﷺ.

شــرح الكلمـات:

ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم: أي أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي.

لا تقنطوا من رحمة الله : أي لا تيأسوا من المغفرة لكم ودخول الجنة.

إن الله يغفر الذنوب جميعا : أي ذنوب من أشرك وفسق إن هو تاب توبة نصوحا

وأنيبوا إلى ربكم : أي ارجعوا إليه بالإيمان والطاعة.

وأسلموا له : أي أخلصوا له أعمالكم.

واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم: أي القرآن الكريم فأحلوا حلاله وحرموا حرامه.

أن تقول نفس ياحسرتى : أي نفس الكافر و المجرم ياحسرتى أي ياندامتي.

على ما فرطت في جنب الله : أي في جانب حق الله فلم أطعه كما أطاعه غيري.

وإن كنت لمن الساخرين : أي المستهزئين بدين الله تعالى وعباده المؤمنين.

لو أن لي كرة فأكون من المحسنين : أي لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأكون إذاً من المؤمنين الذين أحسنوا القصد والعمل.

بلى قد جاءتك آياتي : أي ليس الأمر كما تزعم أنك تتمنّى الهداية بل قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت.

معنى الآيـات: [1]

لقد صح أن أناسا كانوا قد أشركوا وقتلوا وزنوا فكبر عليهم ذلك وقالوا نبعث إلى رسول الله ﷺ من يسأله لنا هل لنا من توبة فإن قال: نعم، وإلا بقينا على ما نحن عليه وقبل أن يصل رسـولهم نزلت هذه الآية ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أي أفرطوا في ارتكاب الجرائم فكانوا بذلك مسرفين على أنفسهم ﴿لاتقنطوا﴾ أي لاتيأسوا﴿من رحمة الله﴾في أن يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة،إن أنتم تبتم إليه وأنبتم ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً[2]﴾ لمن تاب منها فإنه تعالى لا يستعصي عليه ذنب فلا يقدر على مغفرته وعدم المؤاخذة عليه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) لقد ذكر لسبب نزول هذه الآية عدة مناسبات وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا حاجة إلى ذكرها وما في التفسير كافٍ وهو ما تضمنته رواية البخاري.

(٢) قوله تعالى ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ تعليل للنهي عن اليأس والقنوط من رحمة الله.

وقوله تعالى: ﴿وأنيبوا[1] إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون[2]﴾ أي أيها المذنبون المسرفون أنيبوا إلى ربكم أي ارجعوا إلى طاعته بفعل المأمور وترك المنهي وأسلموا له أي أخلصوا أعمالكم ظاهراً وباطناً له مبادرين بذلك حلول العذاب قبل أن يحل بكم ثم لا تنصرون أي لا تقدرون على منعه منكم ولا دفعه عنكم.

﴿واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم﴾ في هذا القرآن العظيم فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهي وخذوا بالعزائم واتركوا الرخص مبادرين بذلك أيضا حلول العذاب قبل أن يحل بكم بغتة أي فجأة وأنتم لا تشعرون به، بادروا بالتوبة والإنابة والإسلام الصادق ظرفاً تقول فيه النفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله أي ياحسرتى[3] ياندامتى الحاملة لي الغم والحزن احضري هذا وقت حضورك على تفريطي في جانب[4] حق الله تعالى حيث ما عبدته حق عبادته فلا ذكرته ولاشكرت له ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي المستهزئين بدينه وعباده المؤمنين ياله من اعتراف يودي بصاحبه في سواء الجحيم، بادروا ياعباد الله هذاوذاك ﴿أو تقول لو أن الله هداني[5] لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة[6]﴾ أي رجعة إلى الحياة الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ أي المؤمنين الذين أحسنوا النية والقصد والعمل. قال تعالى: راداً على تمنياتهم الكاذبة ﴿بلى﴾ أي ليس الأمر كمازعمت أيها المتمني بقولك ﴿لو أن الله هداني لكنت من المتقين﴾ للشرك والمعاصي التي وقعت بها في جهنم بل جاءتك آياتي هادية لك مرشدة فكذبت بها واستكبرت عن العمل بما جاء فيها وكنت من الكافرين بذلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان فضل الله ورحمته على عباده بقبول توبة العبد إن تاب مهما كانت ذنوبه.

٢ ـ دعوة الله الرحيم إلى عباده المذنبين ـ بالانابة إليه والإسلام الخالص له.

٣ ـ تقرير البعث والجزاء بذكر مايحدث فيه وما يجرى في ساحته من أهوال.

---

(١) الإنابة التوبة ولما في التوبة من معنى الرجوع عدي الفعل بإلى.

(٢) النصر: الإعانة على الغلبة بحيث يتخلص المغلوب من يد غالبه ولا نصير لأحد على الله تعالى.

(٣) الحسرة: الندامة الشديدة والألف في (يا حسرتا) عوض عن ياء المتكلم.

(٤) قال الحسن في طاعة الله وقال الضحاك في ذكر الله يعني القرآن والعمل به، وقال أبو عبيدة أي في ثواب الله وما في التفسير جامع شامل والجنب والجانب بمعنى واحد.

(٥) هذه كلمة حق أريد بها باطل كما قال علي للخوارج لما قالوا لا حكم إلا لله.

(٦) الكرة: الرجعة ولو للتمني فهي وليت سواء.

٤ ـ وجوب تعجيل التوبة والمبادرة بها قبل حلول العذاب في الدنيا أو الموت والموت أدهى وأمر حيث لا تقبل توبة بعد الموت أبداً.

٥ ـ الترغيب في الأخذ بالعزائم وترك الرخص لغير ضرورة.

٦ ـ إبطال مذهب الجبرية الذين يرون أنهم مجبورون على فعل المعاصي وغشيان الذنوب، كقول أحدهم لو أن الله هداني لفعلت كذا أو تركت كذا.

٧ ـ فضل التقوى والإحسان وفضل المتقين والمحسنين.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

شـرح الكلمـات:

ويوم القيامة : أي بأن يبعث الناس من قبورهم.

ترى الذين كذبوا على الله : أي باتخاذ أولياء من دونه وبالقول الكاذب عليه سبحانه وتعالى.

وجوههم مسودة : أي سوداء من الكرب والحزن وعلامة على أنهم من أهل النار وأنهم ممن كذبوا على ربهم.

أليس في جهنم مثوى للمتكبرين : أي أليس في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين؟ بلى إن لهم فيها لمثوى بئس هو من مثوى للمتكبرين عن عبادة الله تعالى.

وينجي الله الذين اتقوا : أي ينجيهم من النار بسبب تقواهم للشرك والمعاصي.

بمفازتهم لايمسهم السوء ولا هم يحزنون : أي بفوزهم بالجنة ونزولهم فيها لا يمسهم السوء أي العذاب ولا هم يحزنون لما نالهم من النعيم.

له مقاليد السموات والأرض : أي مفاتيح خزائن السموات والأرض.

أولئك هم الخاسرون : أي الخاسرون لأنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

قل أفغير الله تأمروني أعبد : قل يارسولنا للذين طلبوا منك أن تعبد معهم آلهتهم أتأمروني بعبادة غير الله، فهل تصلح العبادة لغيره وهو رب كل شيء وإلهه فما أسوأ فهمكم أيها الجاهلون.

لئن أشركت : أي من باب الفرض لو أشركت بالله غيره في عبادته لحبط عملك ولكنت من الخاسرين.

بل الله فاعبد وكن من الشاكرين : أي بل أعبد الله وحده، إذ لا يستحق العبادة إلّا هو وكن من الشاكرين له على إنعامه عليك بالنبوة والرسالة والعصمة والهداية.

معنى الآيات :

لقد تقدم في السياق الأمر بتعجيل التوبة قبل الموت فيحصل الفوت، وذلك لأن يوم القيامة يوم أهوال وتغير أحوال وفي الآيتين الآتيتين بيان ذلك قال تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبـوا على الله﴾[1] بأن نسبوا إليه الولد والشريك والتحليل والتحريم وهو من ذلك براء هؤلاء ﴿وجوههم مسودة﴾[2] علامة أنهم كفروا وكذبوا وأنهم من أهل النار.

---

(١) هم الذين نسبوا إليه ما هو منزه عنه كالشريك والصاحبة والولد، ويدخل في هذا كل من نسب إلى الله تعالى صفة لا دليل له فيها، وكذا من شرع شيئا ونسبه إلى الله تعالى ليقبل منه ويروج، ولا يدخل أهل الاجتهاد إذا اخطأوا في الأدلة والحكم المقيس الذي لا نص فيه ولا يجوز أن يقال فيه قال الله أو أمر أو شرع تحاشياً من النسبة إلى الله تعالى بغير نص من كتاب أو سنة.

(٢) جملة وجوههم مسودة مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال، لأن الرؤيا بصرية وليست قلبية.

وقـولـه تعـالى: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبـرين﴾[1][2] أي بلى في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين الذين تكبروا عن الإيمان والعبادة. وقوله تعالى: ﴿وينجي الله أي تلك حال وهذه أخـرى وهي أن الله تعـالى ينجي يوم القيامة الذين اتقوا الشرك والمعاصي بالإيمان والطاعة هؤلاء بفـوزهم بالجنـة لا يمسهُم السوء في عرصات القيامة، ولاهم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم في الدنيا لأن ما نالهم من نعيم الجنة أنساهم ماتركوا وراءهم وقوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ أي ما من كائن سوى الله تعالى إلا وهو مخلوق والله خالقه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي قيم حافظ، فسبحانه ما أعظم قدرته وما أوسع علمه فلذا وجبت له العبادة ولم تجز فضلا عن أن تجب لسواه.

وقـوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾[3] أي له ملكا حقاً مفاتيح خزائن الرحمات والخيرات والبركات فهو يفتح ما يشاء ويمسك ما يشاء فلايصح الطلب إلا منه ولا تجوز الرغبة إلا فيه وما عبد الناس الأوثان والأصنام إلا رغبة ورهبة فلو علموا أن رهبتهم لا تكون إلا من الـذي يقـدر على كل شيء وأن رغبتهم لا تكون إلا في الذي بيده كل شيء لو علموا هذا ماعبدوا غير الله تعالى بحال.

وقوله تعالى ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ الحاوية لإيمانه وصفاته وبيان محابه ومكارهه وحدوده وشرائعه ولذا من كفر بآيات الله فلم يؤمن بها ولم يعمل بما فيها خسر خسراناً مبيناً بحيث يخسر يوم القيامة نفسه وأهله، وذلك هو الخسران المبين.

وقـوله تعالى: ﴿قل أفغير الله﴾ الآية هذا ردٌ على المشركين الذين طلبوا من الرسول أن يعترف بآلهتهم ويرضى بها مقابل أن يعترفوا له بما جاء به ويدعو إليه فأمر تعالى أن يفاصلهم بقوله: ﴿أفغير الله تأمروني[4][5] أعبد أيها الجاهلون﴾ لن يكون هذا مني أبداً كيف أعبد غير الله وهو

---

(١) الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا والاستفهام للتقرير.

(٢) التكبر شدة الكبر وهو إظهار المرء التعاظم على غيره لأنه يعد نفسه عظيما وفي التنديد به من حديث مسلم «إن الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر».

(٣) المقاليد جمع إقليد وجمع على غير قياس والمراد مفاتيح خزائن السماء والأرض حيث أرزاق العباد وما به تقوم حياتهم، من أمطار وزروع وضروع ومعادن وغيرها.

(٤) غير منصوب بأعبد، وأعبد مرفوع لحذف ان مع حرف الجر إذ الأصل بأن أعبد فلما حذف الناصب ارتفع الفعل. هذا على رأي كثير من النحاة والجمهور يقولون لا حذف وأعبـد هو المستفهم عنه، وتأمروني اعتراض أو حال وتقدير الكلام أأعبد غير الله لكونكم تأمروني بذلك.

(٥) قرأ نافع تأمرون بنون واحـدة مخففة بحذف إحدى النونين، وقرأ حفص والجمهور تأمروني بتشديد النون إدغاماً لإحدى النونين في الأخرى وفي جملة أيها الجاهلون تقريع لهم ووصف لهم بالجهل وهو وصف مذموم.

ربي ومالك أمري وهو الذي كرمني بالعلم به وأوحى إليَّ شرائعه. فلتيأسوا فإن مثل هذا لن يكون أبداً، ووصفهم بالجهل لأن جهلهم[1] بالله وعظمته هو الذي سول لهم عبادة غيره والتعصب لها.

وقوله تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك أي أوحى الله إليك كما أوحى إلى الأنبياء من قبلك بالتالي وهو وعزة الله وجلاله ﴿لئن أشركت﴾ بناغيرنا في عبادتنا ليحبطن[2] عملك أي يبطل كله ولا تثاب على شيء منه وإن قل، ولتكونن بعد ذلك من جملة الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين. ثم أمر تعالى رسوله مقرراً التوحيد مبطلاً الشرك بقوله: ﴿بل الله فاعبد[3] وكن من الشاكرين﴾ أي الله وحده فاعبده وكن من الشاكرين له على إنعامه وأفضاله عليك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - إسوداد الوجه يوم القيامة علامة الكفر والخلود في جهنم.

٢ - ابيضاض الوجوه يوم القيامة علامة الإيمان[4] والخلود في الجنة.

٣ - تقرير البعث والجزاء بوصف أحواله ومايدور فيه.

٤ - بيد الله كل شيء فلا يصح أن يطلب شيء من غيره أبداً، ومن طلب شيئاً من غير الله فهو من أجهل الخلق.

٥ - التنديد بالشرك وبيان خطورته إذْ هو محبط للأعمال بالكلية.

٦ - وجوب عبادة الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه ووجوب حمده وشكره إذ كل إنعام منه وكل إفضال له. فلله الحمد والمنة.

---

(١) العرب مع انهم أميون يعترفون بفضل العالم على الجاهل قال شاعرهم:

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول

(٢) حبوط العمل بطلانه حيث لا يثاب عليه والخسران مقيد بأن يموت على الردة أما إن راجع الإسلام فلا يخسر لآية ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾ فالآية مقيدة لإطلاق آية الزمر.

(٣) بل للإبطال أي إبطال عبادة ما دعاه إليه المشركون وقصره على عبادة الله وحده وأمره أن يكون في جملة الشاكرين لله إنعامه عليهم بنعمة الإسلام.

(٤) شاهده آية آل عمران ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ الآية.

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات:

وما قدروا الله حق قدره : أي ما عظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته حين أشركوا في عبادته غيره من أوثانهم.

والأرض جميعا قبضته : أي والأرض بجميع أجزائها قبضته.

والسموات مطويات : أي والسموات السبع مطويات بيمينه.

سبحانه وتعالى عما يشركون: أي تقدس وتنزه عما يشرك به المشركون من أوثان.

ونفخ في الصور : أي نفخ اسرافيل نفخة الصعق.

ثم نفخ فيه أخرى : أي مرة أخرى وهي نفخة القيام لرب العالمين.

وأشرقت الأرض بنور ربها : أي أضاءت الأرض بنور الله تعالى حين يتجلى لفصل القضاء.

ووضع الكتاب : أي كتاب الأعمال للحساب.

وجيىء بالنبين والشهداء : أي بالنبيين ليشهدوا على أممهم، والشهداء محمد ﷺ وأمته.

وقضي بينهم بالحق : أي بالعدل وهم لا يظلمون لا بنقص حسناتهم ولا بزيادة سيئاتهم.

وهو أعلم بما يفعلون : أي أعلم حتى من العاملين أنفسهم.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾[1] إنه بعد أن قرر تعالى التوحيد وندد بالشرك والمشركين أخبر تعالى ناعياً على المشركين شركهم ودعوتهم نبيه للشرك بأنهم بفعلهم ذلك ماقدروا الله حق قدره أي ماعظموه حق عظمته وذلك لجهلهم به تعالى حين عبدوا معه غيره ودعوا نبيه إلى ذلك، وقوله: ﴿والأرض جميعا[2] قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾[3] فالذي يجعل الأرض بكل طبقاتها وأجزائها في قبضته والسموات يطويها بيمينه فالسموات والأرض جميعا في يده، ويقول أنا الملك أين الملوك. فصاحب هذه القدرة العظمى كيف يعبد معه آلهة أخرى هي أصنام وتماثيل أوثان. ولذا نزه تعالى نفسه بقوله﴿سبحانه﴾ أي تنزه وتقدس عن الشريك والنظير والصاحبة والولد وعن صفات المحدثين، وتعالى عما يشركون أي ترفع عن أن يكون له شريك وهو رب كل شيء ومليكه.

وقوله تعالى : ونفخ في الصور[4] الآية هذا عرض لمظاهر القدرة التي يتنافى معها عقلاً وجود من يستحق العبادة معه سبحانه وتعالى، والنافخ في الصور أي البوق اسرافيل قطعا إذْ هو الموكل بالنفخ في الصور فإذا نفخ هذه النفخة صعق من[5] في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فهذا استثناء دال على أن بعضا من المخلوقات لم يصعق في هذه النفخة، ﴿ثم نفخ فيه﴾ أي في الصور نفخة ﴿أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ هذه النفخة تسمى نفخة القيام لله رب العالمين لأجل الحساب وقوله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب[6]﴾ أي كتاب الأعمال للحساب ﴿وجيء بالنبيّين﴾ ليشهدوا على أممهم وجيء بالشهداء وهم أمة

(١) حق قدره فيه إضافة الصفة إلى الموصوف فحق صفة، والقدر موصوف إذ الأصل (ما قدروا الله قدره الحق) فالحق منصوب على النيابة عن المفعول المطلق.

(٢) جرد جميع من التاء إذ لم يقل والأرض جميعة جريا على الغالب وقد اثبتت في قول الشاعر:

فلو انها نفس تموت جميعة ... ولكنها نفس تساقط انفساً

ونصب جميعاً على الحال.

(٣) شاهده في البخاري قوله ﷺ «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض»؟ وفي الترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ قالت قلت فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: على جسر جهنم، وفي رواية على الصراط يا عائشة».

(٤) الصور البوق ينادى به البعيد المتفرق مثل الجيش، والمراد هنا نداء الخلق لحضور الحشر أحياء للحساب والجزاء.

(٥) بالتتبع للآيات القرآنية المتضمنة لأحوال الدار الآخرة نجد أن النفخات للصور أربع نفخات: وهي نفخة الفناء، ونفخة البعث، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين. وفي هذه الآيات ذكر نفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين سميت هذه نفخة صعق لأن الخلائق يصعقون ولا يموتون بدليل حديث البخاري «فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله تعالى» لفظ مسلم. قال القرطبي والإفاقة إنما تكون من غشية وزوال عقل لا عن موت برد الحياة والله أعلم.

(٦) الكتاب اسم جنس والمراد صحائف أعمال العباد الحاوي للحسنات والسيئات.

محمد يشهدون على الأمم السابقة بأن رسلها قد بلغتهم دعوة الله، وشهادة أمة محمد قائمة على ما أخبرهم تعالى في كتابه القرآن الكريم أن الرسل قد بلغت رسالات ربها لأممها، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ أي خياراً عدولا ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكـون الرسول عليكم شهيداً.﴾ وقوله: ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي وحكم الله تعالى بين العباد بالعدل، ووفي كل نفس ما عملت من خير أو شر، وهو تعالى أعلم بما يفعلون حتى من العاملين أنفسهم ولذا سيكون الحساب عادلاً لا حيف فيه لخلوه من الخطأ والغلط والجهل والنسيان لتنزه البارىء عز وجل عن ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان مظاهر عظمة الرب تعالى التي يتنافى معها الشرك به عز وجل في عباداته.

٢ - تقرير البعث والجزاء بيان أحواله وما يجرى فيه.

٣ - بيان عدالة الله في قضائه بين عباده في عرصات القيامة.

٤ - فضيلة هذه الأمة بقبولها شاهدة على الأمم التي سبقتها.

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ

نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

شـــرح الكلمـات :

وسيق الذين كفروا : أي وساق الملائكة بعنف الذين كفروا.

إلى جهنم زمراً : أي جماعات، جماعة المشركين، وجماعة المجرمين وجماعة الظالمين.

وقال لهم خزنتها : أي الموكلون بالنار من الملائكة الواحد خازن.

ألم يأتكم رسل : هذا الاستفهام للتقرير والتوبيخ.

حقت كلمة العذاب : أي وجب العذاب للكافرين.

وسيق الذين اتقوا : أي وساقت الملائكة بلطف على النجائب الذين اتقوا ربهم أي أطاعوه ولم يشركوا به.

وفتحت أبوابها : أي والحال أن أبواب الجنة قد فتحت لاستقبالهم.

والحمد لله الذي صدقنا وعده : أي أنجز لنا وعده بالجنة.

وأورثنا الأرض : أي أرض الجنة وصورة الإرث نظراً إلى قوله تعالى في وعده لهم تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً [1]

نتبوأ من الجنة حيث نشاء : أي ننزل من حيث نشاء.

فنعم أجر العاملين : أي الجنة.

حافين من حول العرش : أي مُحدقين بالعرش من كل جانب.

يسبحون بحمد ربهم : أي يقولون سبحان الله وبحمده.

وقضي بينهم بالحق : أي وقضي الله بمعنى حكم بين جميع الخلائق بالعدل.

وقيل الحمد لله رب العالمين: أي وقالت الملائكة والمؤمنون الحمد لله رب العالمين على استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

---

(١) وجه الورث ان الله تعالى خلق لكل انسان منزلا في النار وآخر في الجنة ثم هم يتوارثون فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار في الجنة وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة في النار.

معنى الآيات :

بعد الفراغ من الحكم على أهل الموقف وذلك بأن حكم تعالى فيهم بحسب عملهم فوفّى كل عامل بعمله من كفر ومعاصٍ ، أو إيمان وطاعة قال تعالى مخبراً عن مصير الفريقين ﴿وسيق[1] الذين كفروا﴾ أي ساقتهم الملائكة بشدة وعنف لأنهم لايريدون الذهاب ﴿إلى جهنم زمراً﴾ أي جماعات ولفظ الزمرة مشتق من الزمر الذي هو الصوت إذ الغالب في الجماعة أن يكون لها صوت . وقوله تعالى : ﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ إذ كانت مغلقة كأبواب السجون لا تفتح إلا عند المجيء بالسجناء ، ﴿وقال لهم خزنتها[2]﴾ قبل الوصول إليها موبخين لهم ﴿ألم يأتكم[3] رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم﴾ أي المبينة لكم الهدى من الضلال والحق من الباطل ، وما يحب ربكم من العقائد والأقوال والأعمال والصفات والذوات وما يكره من ذلك ، ويدعوكم إلى فعل المحاب لتنجوا وترك المكاره لتنجوا وتسعدوا . فأجابوا قائلين بلى أي جاءتنا بالذي قلتم ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ونحن منهم فوجب لنا العذاب ، وعندئذ تقول لهم الملائكة ادخلوا[4] أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس أي جهنم مثوى المتكبرين أي قبح مأوى المتكبرين في جهنم من مأوى .

وقوله تعالى : ﴿وسيق الذين[5] اتقوا ربهم إلى الجنة﴾ وسوقهم هو سوق النجائب التي يركبونها فهو سوق لطف وتكريم إلى الجنة دار السلام زمراً زمرة الجهاد وزمرة الصدقات وزمرة العلماء وزمرة الصلوات . . . . ﴿حتى إذا جاؤها﴾ وقد فتحت[6] أبوابها من قبل لاستقبالهم مُعَزَزين مكرمين ، فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم أي طابت أرواحكم بأعمالكم الطيبة فطاب مقامكم في دار السلام فنعم التحية حيوا بها مقابل تأنيب وتوبيخ الزبانية لأهل النار . وقوله لهم فادخلوها أي الجنة حال كون خلودكم مقدراً لكم فيها . فقالوا بعد دخولهم الجنة ونزولها في

---

(١) هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الذين كفروا إلى النار والذين آمنوا إلى الجنان والزمر جمع زمرة كظلمة وظلم وغرفة وغرف ، وهي جماعة بعد جماعة قال الشاعر:

وترى الناس إلى منزله   زمراً تنتابه بعد زمرة

(٢) الخزنة جمع خازن كسدنة وسادن .

(٣) الاستفهام للتقرير مع التوبيخ والتقريع .

(٤) قال وهب: تستقبلهم الزبانية بمقامع من حديد فيدفعونهم بمقامعهم فإنه ليقع في الدفعة الأولى بعدد ربيعة ومضر . قال تعالى ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ .

(٥) سوق أهل النار طردهم إلى النار بالخزي والهوان كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان وسوق أهل الجنة سوق مراكبهم إلى دار السلام إنهم لا يذهب بهم إلا راكبين وشتان ما بين السوقين .

(٦) قرأ نافع والجمهور فتحت بتشديد التاء في الأولى والثانية وقرأ حفص بالتخفيف ، والواو في قوله وفتحت واو الحال والجملة حالية في محل نصب .

قصورها الحمدلله الذي صدقنا وعده يعنون قوله تعالى: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾، وقولهم ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي أرض الجنة نتبوأ منها حيث نشاء أي ننزل منها حيث نريد النزول، وفي قولهم أورثنا الأرض إشارة إلى أنهم ورثوها من أبويهم آدم وحواء إذ كانت لهم قبل نزولهما منها. وقولهم فنعم أجر العاملين أي الجنة والمراد من العمل الإيمان والتقوى في الدنيا، بأداء الفرائض واجتناب النواهي وقوله تعالى: ﴿وترى الملائكة﴾ أيها الرائي ﴿حافين من[1] حول العرش﴾ أي محدقين بعرش الرحمن أي سريره ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ أي قائلين: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. قال تعالى مخبراً عن نهاية الموقف: ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي وقضى الله بين الخلائق بالعدل، ولما استقر أهل النار وأهل الجنة حُمدَ الله على الاستقرار التام والحكم العادل الرحيم وقيل الحمد لله رب[2] العالمين أي حمدت الملائكة ربها وحمده معهم المؤمنون وهم في دار النعيم المقيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان إهانة أهل النار بسوقهم على أرجلهم بعنف وتأنيبهم وتوبيخهم.

٢ ـ التنديد بالاستكبار عن عبادة الله تعالى، وعباده المؤمنين به، المتقين له.

٣ ـ بيان اكرام الله تعالى لأوليائه إذ يُحملون على نجائب رحالها من ذهب إلى الجنة، ويلقون فيها تحية وسلاما. تحية احترام وإكرام، وسلام أمان من كل مكروه.

٤ ـ بيان نهاية الموقف باستقرار أهل النار من الكفار والفجار في النار، واستقرار أهل الجنة من المؤمنين الاتقياء الأبرار في الجنة دار الأبرار.

٥ ـ ختم كل عمل بالحمد فقد ابتدأ الله الخالق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد، وقيل الحمد لله رب العالمين.

---

(١) من زائدة لتقوية الكلام نحو ماجاءني من أحد.

(٢) قال قتادة في هذه الآية افتتح الله أول الخلق بالحمد فقال: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) وختم بالحمد فقال «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» فحسن الاقتداء به فيبدأ العبد قوله بالحمد ويختمه بالحمد.

سُورَةُ غَافِر [1]

مكية

وآياتها خمس وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾

---

(١) وتسمى أيضا سورة المؤمن وسورة الطول وهي أول آل حم التي يقال لها ديباج القرآن وعرائس القرآن ويقال ذوات حٰمٓ وذكر القرطبي أن رجلاً من أهل الشام كان ذا بأس شديد فقيل لعمر وقد سأل عنه انه تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا احمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حٰمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ثم ختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله يغفر لي وحذّرني عقابه، فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحدكم زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه.

شـــرح الكلمـات :

حــمٓ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا: حـمٓ ويقرأ هكذا: حا مِيْم.

تنزيل الكتاب من الله : أي تنزيل القرآن كائن من الله.

العزيز العليم : أي الغالب على مراده، العليم بعباده ظاهراً وباطنا حالاً ومآلا.

غافر الذنب : أي ذنب من تاب إلى الله فرجع إلى طاعته بعد معصيته

شديد العقاب ذي الطول : أي مشدد العقوبة على من كفر به، ذي الطول أي الإنعام الواسع على من آمن به وأطاعه.

لا إله إلا هو إليه المصير : أي لا معبود بحق إلا هو إليه مرجع الخلائق كلهم.

ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا : أي في القرآن لإبطالها إلا الكافرون.

فلا يغررك تقلبهم في البلاد : أي فلا تغتر بمعاشهم سالمين فإن عاقبتهم النار.

والأحزاب من بعدهم : أي وكذبت الأحزاب من بعد قوم نوح، وهم عاد وثمود وقوم لوط.

وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه : أي ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل.

وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق : أي ليزيلوا به الحق و يبطلوه.

فكيف كان عقاب : أي كان واقعاً موقعه حيث أهلكم ولم يبق منهم أحداً.

كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا : أي وجبت كلمة العذاب على الذين كفروا.

معنى الآيات:

قوله تعالى: حمٓ : الله أعلم بمراده به

وقد ذكرنا غير ما مرة أن هذه الحروف أفادت فائدتين الأولى أن العرب المشركين في مكة كانوا قد منعوا المواطنين من سماع القرآن حتى لا يتأثروا به فيكفروا بآلهتهم فقد أخبر تعالى عنهم في قوله من سورة فصلت فقال: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ فكانت هذه الحروف المقطعة بنغمها الخاص تستهويهم فيسمعوا فكانت فائدة عظيمة. والثانية أن المشركين لما أصروا على أن القرآن لم يكن وحياً وإنما هو من جنس ما يقوله الشعراء والكهان. وأصحاب الأساطير تحداهم الله تعالى بالإتيان بمثله وهو مركب ومؤلف من هذه الحروف آلم طسٓ حٓم والذي قوى هذه النظرية أنه غالبا ما يذكر القرآن بعد

ذكر هذه الحروف مثل آلم تلك آيات الكتاب، حم تنزيل الكتاب، حمّ والكتاب المبين فهاتان الفائدتان من أحسن ما استنبطه ذو الشأن في تفسير القرآن، وما عدا ذلك فلا يحسن روايته لخلوه من فائدة معقولة، ولا رواية عن الرسول وأصحابه منقولة.

وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ يخبر تعالى أنه عز وجل هو مصدر هذا القرآن إذ هو الذي نزله تنزيلاً على عبده ورسوله، ووصف نفسه بالعزة والعلم فقال العزيز أي في انتقامه من أعدائه الغالب على أمره ومراده فلا يحال بينه وبين ما يريده العليم بخلقه وحاجاتهم ومتطلباتهم، فأنزل الكتاب لهدايتهم وإصلاحهم. وقوله: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول[1]﴾ أعلم أنه تعالى يغفر ذنب المستغفرين ويقبل توبة التائبين وأنه شدد العقوبة على من كفر به وعصاه. وقوله ذي الطول أي الإنعام الواسع والفضل العظيم ﴿لا إله إلا هو[2]﴾ أي لامعبود بحق إلا هو العزيز الحكيم العزيز الغالب على أمره الحكيم في تدبير خلقه.

لما أثنى تبارك وتعالى على نفسه بما هو أهله أخبر رسوله بأنه ﴿مايجادل[3] في آيات الله﴾ القرآنية الحاوية للحجج القواطع والبراهين السواطع على توحيد الله ولقائه وعلى نبوة رسول الله مايجادل فيها ﴿إلا الذين كفروا﴾ وذلك لظلمة نفوسهم وفساد قلوبهم، وعليه فاصبر ولا تغتر بظاهر ما هم عليه من سعة الرزق وسلامة البدن، وهو معنى قوله: ﴿فلا يغررك[4] تقلبهم في البلاد﴾ أي آمنين معافين في أبدانهم وأرزاقهم فإنهم ممهلون لا مهملون، والدليل فقد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب[5] من بعد قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون، وقد همت كل أمة من تلك الأمم برسولها لتأخذه فتقتله أو تنكل به. وقد جادلوا بالباطل كما جادل قومك من قريش ليدحضوا به الحق أي ليزيلوه ويبعدوه بباطلهم. فأخذتهم فكيف كان عقاب أي كان واقعاً موقعه والحمدلله إذ قطع الله دابرهم وأنهى وجودهم وخصومتهم.

---

(١) يطلق الطول على سعة الفضل وسعة المال كما يطلق مطلق القدرة وهو مأخوذ من الطول ضد القصر.

(٢) لا إله إلا هو في موضع الصفة لله عز وجل فتكون الصفة السابقة في هذه الآية الكريمة.

(٣) مستأنفة استئنافا بيانياً ناشئاً عن سؤال من قال ما دام هذا القرآن تنزيلاً من العزيز الحكيم وهو أمر لاريب فيه فلم يجادل فيه هؤلاء المشركون فأجابهم بقوله «ما يجادل في كتاب الله إلا الذين كفروا» الآية.

(٤) الغرور ظن المرء شيئا حسناً وهو بضده يقال غرك إذا جعلك تظن الشيء حسناً ويكون التغرير بالقول أو بتحسين صورة القبيح.

(٥) الأحزاب هم الأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب والعناد كعاد وثمود ومن بعدهم.

وقوله ﴿وكذلك حقت[1] كلمة ربك[2] على الذين كفروا أنهم أصحاب النار[3]﴾ أي كما وجب حكمه بإهلاك تلك الأمم المكذبة لرسلها الهامة بقتلها وقد أهلكهم الله فعلاً حقت كلمة ربك على الذين كفروا لأنهم أصحاب النار والمراد من كلمة ربك قوله لأملأن جهنم الآية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير أن القرآن الكريم مصدر تنزيله هو الله تعالى إذ هو الذي أوحاه ونزله على رسوله محمد ﷺ وبذلك تقررت نبوة الرسول محمد ﷺ.

٢ - بيان عظمة الرب تعالى المتجلية في أسمائه العزيز العليم الحكيم ذي الطول غافر الذنب قابل التوب لا إله إلا هو.

٣ - تقرير التوحيد والبعث والجزاء.

٤ - تقرير مبدأ أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وأن بطشه شديد.

ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾

---

(١) حقت أي وجبت ولزمت مأخوذ من الحق لأنه لازم.

(٢) قرأ نافع كلمات بالجمع وقرأ حفص بالإفراد وهي اسم جنس بمعنى الجمع.

(٣) الإجماع على وجوب الوقف على قوله تعالى ﴿أنهم أصحاب النار﴾ ثم يستأنف القراءة قائلا الذين يحملون العرش.. الخ إذ يقبح أن يتبادر إلى ذهن السامع أن أصحاب النار هم الذين يحملون العرش.

شـــرح الكلمـات :

الذين يحملون العرش	: أي الملائكة حملة العرش.
ومن حوله	: أي والملائكة الذين يحفون بالعرش من جميع جوانبه.
يسبحون بحمد ربهم	: أي يقـولـون سبحـان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذه صلاتهم وتسبيحهم.
ويؤمنون به	: كيف لا وهم عنده، ولكن هذا من باب الوصف بالكمال لهم.
ويستغفرون للذين آمنوا	: أي يطلبـون المغفـرة للمؤمنين لرابـطة الإيمـان بالله التي تربطهم بهم.
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما	: أي يقولون ياربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما.
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك	: أي فبمـا أن رحمتـك وعلمـك وسعا كل مخلوقاتك فاغفر للذين تابوا إليك فعبدوك ووحدوك واتبعوا سبيلك الذي هو الإسلام.
وقهم عذاب الجحيم	: أي احفظهم من النار فلا تُعذّبهم بها.
جنات عدن	: أي بساتين فيها قصور وأنهار للإقامة الدائمة.
التي وعدتهم	: أي بقوله تعالى : إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتهم الأنهار.
ومن صلح من آبائهم	: أي ومن صلح بالإيمان ولم يفسد بالشرك والكفر.
وقهم السيئات	: أي احفظهم من جزاء السيئات التي عملوها فلا تؤاخذهم بها.
ومن تق السيئات يومئذ	: أي ومن تقه جزاء سيئاته يوم القيامة فلم تؤاخذه.
فقد رحمته	: أي حيث سترته ولم تفضحه وعفوت عنه ولم تعذبه.
وذلك	: أي الوقاية من العذاب وإدخال الجنة هو الفوز العظيم.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الذين[1] يحملون العرش[2]﴾ يخبر تعالى عن عظمته وموجبات الإيمان به وبآياته وتوحيده ولقائه فيقول الذين يحملون العرش أي عرشه من الملائكة كالملائكة الذين يحفون بعرشه الجميع ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ تسبيحاً مقروناً بالحمد بأن يقولوا سبحان الله وبحمده ويؤمنـون به أي يؤمنـون بوحدانيته وعدم الإشراك في عبادته﴿ويستغفرون[3] للذين آمنوا﴾ لرابطة الإيمان التي ربطتهم بهم ولعل هذا السرَّ في ذكر إيمانهم لأن المؤمنين إخوة واستغفارهم هو طلب المغفرة من الله للمؤمنين من عباده. وهو معنى قوله : ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما أي يقولـون متوسـلين إليـه سبحانه وتعـالى بصـفاته ﴿ ربنـا وسـعت[4] كل شـيء رحمـة وعلماً﴾ أي يـا ربنـا وسـعت رحمتـك وعلمـك سـائر المخلوقـات فاغفـر للذين تابـوا أي إليك فتـركـوا الشرك واتبعوا سبيلك الذي هو الإسلام فانقادوا لأمرك ونهيك، وقهم عذاب الجحيم أي احفـظهم ياربنا من عذاب النار وأُدخلهم جنات عَدْنٍ أي إقامة من دخلها لايخرج منها ولا يبغي عنها حولا لكمال نعيمها ووفرة السعادة فيها. ومن صلح من آبـائهم وأزواجهم وذريّتهم أي وادخـل كذلـك من صلح بالإيمـان والتـوحيد من آبـائهم وأزواجهم وذريَّاتهم فألحقهم بدرجاتهم ليكونوا معهم وإن قصرت بهم أعمالهم. وقولهم إنك أنت العـزيز الحكيم توسـل أيضـاً إليه تعـالى بصفتي العـزة والغلبة والقهر لكل المخلوقات والحكمـة المتجلية في سائر الكائنات. وقولهم : ﴿وقهم السيئات[5]﴾ أي واحفظهم من جزاء سيئاتهم بأن تغفرها لهم وتسترها عليهم حتى يتأهّلوا للحاق بأبنائهم الذين نسألك أن تلحقهم بهِمْ، ﴿ومن تق السيئات يومئذ﴾ أي يوم القيامة ﴿فقد رحمته[6]﴾، ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم لقوله تعالى : ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾. ومعنى ومن تق السيئآت أي تقيه عذابها وذلك بأن يغفرها لهم ويعفو عنهم

---

(١) حملة العرش أفضل الملائكة وهم أربعة ويوم القيامة يضاف إليهم أربعة فيصبحون ثمانية لقوله تعالى من سورة الحاقة «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية».

(٢) قال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة.

(٣) قبل هذا معطوف على محذوف تقديره وينزهونه عما يقول الكافرون ويستغفرون الخ.

(٤) رحمة منصوب على التمييز وعلماً معطوف عليه، والتمييز محول عن فاعل إذ التقدير وسعت رحمتك وعلمك كل شيء.

(٥) قد لايحتاج الأمر إلى تقدير محذوف فيقال وقهم جزاء السيئات إذ السيئات جمع سيئة «فَيْعِلَة» من السوء وهو ما يضر ولا يسر فالسيئة كل ما يسوء من عذاب وخوف، وهلع فدعاء الملائكة دعاء بالنجاة مما يسوء المؤمنين يوم القيامة ولذا قالوا ومن تق السيئات أي ما يسوءه من العذاب فقد رحمته بدخول الجنة وما في التفسير هو رأي الجمهور من المفسرين.

(٦) قال مطرف بن عبدالله : وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغشَّ عباد الله لعباد الله الشياطين وتلا هذه الآية الذين يحملون العرش إلى قوله فقد رحمته.

فلا يؤاخذهم بها، فينجوا من النار ويدخلوا الجنة وذلك أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان عظم الرب تعالى.

٢ - بيان فضل الإيمان وأهله.[١]

٣ - فضل التسبيح بقول: سبحان الله وبحمده فقد صح أن من قالها مائة مرة[٢] حين يصبح أو حين يمسي غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر أي في الكثرة.

٤ - بشرى المؤمنين بأن الله تعالى يجمعهم بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم في الجنة، وقد استجاب الله للملائكة وقد أخبر تعالى عن ذلك بقوله: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم.﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

---

(١) في الصحيحين.

(٢) يكفي كرامة للمؤمن أنه نائم على فراشه والملائكة تستغفر الله له، وتدعو له بالنجاة من النار وبدخول الجنة كما في قوله الذين يحملون العرش الآية.

فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾

شـرح الكلمـات:

ينادون لمقت الله : أي تنـاديهم الملائكة لتقول لهم لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنتم لأنفسكم، والمقت أشد البغض.

إذتدعون إلى الإيمان فتكفرون: أي مقت الله تعالى لكم عندما كنتم في الدنيا تدعوْن إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم لما رأيتم العذاب.

أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين : أي أمتنا مرتين الأولى عندما كنا عدماً فخلقتنا، والثانية عندما أمتنا في الدنيا بقبض أرواحنا، وأحييتنا مرتين الأولى لما أخرجتنا من بطون أمهاتنا أحياء فهذه مرة والثـانية بعـد أن بعثتنا من قبورنا أحياء.

فاعترفنا بذنوبنا : أي بذنوبنا التي هي التكذيب بآياتك ولقائك والشرك بك.

فهل إلى خروج من سبيل : أي فهل من طريق إلى العودة إلى الحياة الدنيا مرة ثانية لنؤمن بك ونوحدك ونطيعك ولا نعصيك.

ذلـكم : أي العذاب الذي أنتم فيه.

بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم : أي بسبب أنه إذا دعي الله وحده كفرتم بالتوحيد.

يريكم آياته : أي دلائل توحيده وقدرته على بعثكم ومجازاتكم.

وما يتذكر إلا من ينيب : أي وما يتعظ إلا من ينيب إلى الله ويرجع إليه بتوحيده.

يلقي الروح من أمره : أي يلقي بالوحي من أمره على من يشاء من عباده.
لينذر يوم التلاق : أي لينذر من يوحي إليه من البشر وهو الرسول يوم تلاقي أهل السماء وأهل الأرض وذلك يوم القيامة.
يوم هم بارزون : أي لا يسترهم شيء لا جبل ولا شجر ولا حجر.
لمن الملك اليوم : أي لمن السلطان اليوم.

معنى الآيات:

بعد أن بين تعالى حال المؤمنين وأنهم هم وأزواجهم وذرياتهم في دار النعيم يبين في هذه الآيات الثلاث حال الكافرين في النار جريا على أسلوب القرآن في الترغيب والترهيب فقال تعالى مخبراً عن أهل النار: ﴿إن الذين كفروا﴾ أي بربهم ولقائه وتوحيده ينادون أي تناديهم الملائكة فتقول لهم ـ بعد أن يأخذوا في مقت أنفسهم ولعن بعضهم بعضا ـ ﴿لمقت الله أكبر[1] من مقتكم أنفسكم﴾ وذلك لأنكم كنتم تدعون إلى الإيمان بالله وتوحيده وطاعته فتكفرون وتجحدون متكبرين.

وهنا في الآية الثانية (١٠) يقولون وهم في جهنم ﴿ربنا﴾ أي ياربنا ﴿أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ يعنون بالموتتين الأولى وهم نطف[2] ميتة والثانية بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم، ويعنون بالحياتين الأولى التي كانت لهم في الدنيا قبل موتهم والثانية التي بعد البعث، وقولهم: ﴿فاعترفنا[3] بذنوبنا﴾ أي التي قارفناها في الحياة الدنيا وهي الكفر والشرك والمعاصي. وقولهم بعد هذا الاعتذار ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ أي فهل من طريق إلى الخروج من النار والعودة إلى الحياة الدنيا لنُصلح ما أفسدنا، ونطيع من عصينا؟ والجواب قطعاً لا سبيل إلى ذلك أبداً، وبقاؤكم في العذاب ليس ظلماً لكم وإنما هو جزاء وفاق لكم ثم ذكر تعالى علة عذابهم بقوله ﴿ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم﴾ بالله وتوحيده ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ أي وإن يشرك بالله تؤمنوا كقولهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملك وما ملك وقوله فالحكم

---

(١) اللام في جواب قسم أي والله لمقت الله الخ والخاطب هم الملائكة وجائز إن لم يكن راجحاً أن يكون المعنى لَمَقْتُ الله إياكم لمّا كنتم تدعون إلى الإيمان في الدنيا على أيدي رسلكم فتكفرون مقت الله ذلك أشد من مقتكم أنفسكم اليوم.

(٢) جائز أن تكون الموتة الأولى لما كانوا في الرحم قبل نفخ الروح، وجائز أن يكون العدم السابق للوجود في الرحم شاهده آية البقرة ﴿وكنتم أمواتا فأحياكم﴾.

(٣) سر اعتراضهم هذا أنهم يرجون من ورائه الخروج من النار ظنا منهم انه نافع لهم شاهده قولهم مستعطفين: «فهل إلى خروج من سبيل».

لله العلي الكبير، وقد حكم بعذابكم فلا سبيل إلى نجاتكم. فامقتوا أنفسكم ونوحوا على أرواحكم فما ذلكم بمجديكم ولا بمخفف العذاب عنكم. وقوله تعالى: ﴿هو الذي[1] يريكم آياته﴾ هذا خطاب للناس في هذه الحياة الدنيا خطاب لمشركي قريش بعد أن عرض عليهم صورة صادقة حية لحالهم في جهنم يوم القيامة عاد يخاطبهم داعيا لهم إلى الإيمان فقال هو أي المعبود بحق الله الذي يريكم آياته أي حججه ودلائل وحدانيته وقدرته على بعثكم ومجازاتكم ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ من المطر وغيره. ومع ذاك البيان وهذا الإفضال، ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ أي فلا يتعظ إلا من شأنه الإنابة إلى ربه تعالى في كل شأنه.

وقوله تعالى: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ هذا خطاب للموحدين يأمرهم تعالى بالاستمرار على توحيد الله في عباداته والاخلاص لله تعالى في كل أعمالهم، ولو كره الكافرون ذلك منهم فإنه غير ضائرهم.

وقوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش[2]﴾ أي هو الله ذو الدرجات الرفيعة والعرش العظيم ﴿يلقي الروح[3] من أمره على من يشاء من عباده﴾ أي يلقي بالوحي من أمره الذي يريد إنفاذه إلى خلقه على من يشاء من عباده ممن يصطفيهم وينبئهم من أجل أن ينذروا عباده يوم التلاقي وهو يوم القيامة إذ يلتقي أهل الأرض بأهل السماء والمخلوقون بخالقهم وهو قوله ﴿لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون﴾[4] من قبورهم لا شيء يسترهم، ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾، وفي هذا الموقف العظيم يقول الجبار سبحانه وتعالى: ﴿لمن الملك اليوم﴾؟ فلا يجيبه أحد رهبة منه وخوفاً فيُجيب نفسه بنفسه قائلا: ﴿لله الواحد القهار. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ من خير وشر لتمام العدالة الإلهية، ويؤكد ذلك قوله: ﴿لاظلم اليوم. إن الله سريع الحساب﴾ ويأخذ في محاسبتهم فلا ينتصف النهار إلا وأهل الجنة في الجنة قائلون في أحسن مقيل اللهم اجعلني منهم ومن قال آمين.

---

(١) جائز أن يكون الخطاب هنا موجهاً إلى الرسول ﷺ والمؤمنين وكونه عاماً يشمل الموحدين والمشركين أولى أو ليزداد المؤمنون إيماناً وليتوب المشركون أما قوله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فظاهر في أنه خطاب للمؤمنين.

(٢) رفيع الدرجات خبر والمبتدأ محذوف تقديره هو عائد على الله ورفيع الدرجات خبر وهو يحتمل أمرين كلاهما حق الأول أن الله تعالى هو ذو الشأن العظيم والصفات العلا والأسماء الحسنى والقدر الأعلى والثاني أنه تعالى رافع درجات أوليائه في دار كرامته إذ رفيع إما أن يكون صفة مشبّهة عائدة إلى الذات الإلهية العلية، أو فعيل بمعنى فاعل أي رافع درجات أوليائه.

(٣) فيه تقرير النبوة المحمدية بإثبات الوحي الإلهي لمن يشاء من عباده فبعد تقرير البعث والتوحيد قرر النبوة المحمدية وهذه أصول الدين التي عليها مدار الحياة الإيمانية.

(٤) هذا عرض أيضا لأحوال يوم القيامة المقصود منه التذكير به والدعوة إلى تقوية الإيمان به إذ هو عامل إصلاح النفوس مع بيان عظمة الله وعدله وهي موجبات توحيده وطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

هداية الايات :

من هداية الآيات :

١ - عدم جدوى الاعتذار يوم القيامة هذا فيما لو أذن للعبد أن يعتذر فلا ينفعه اعتذار.

٢ - تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.

٣ - بيان أفضال الله على العباد إذ يريهم آياته لهدايتهم ويرزقهم وهم يكفرون به.

٤ - وجوب إخلاص الدعاء وسائر العبادات لله وحده ولو كره ذلك المشركون.

٥ - تقرير النبوة، وبيان الحكمة فيها وهي انذار الناس من عذاب يوم القيامة حيث الناس بارزون لله لايخفى على الله منهم شيء فيحاسبهم بعلمه وعدله فلا ينقضي نهار إلا وقد استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار اللهم أعذنا من نار جهنم.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

شـرح الكلمـات :

يوم الآزفة : أي يوم القيامة.

إذ القلوب لدى الحناجر : أي من شدة الخوف تكون القلوب قد ارتفعت حتى وصلت عند الحناجر.

كاظمين : أي لقلوبهم يريدون ردها فلم يقدروا.

ماللظالمين من حميم : أي ليس للمشركين من محب قريباً كان أو بعيداً.

يعلم خائنة الأعين : أي الله تعالى يعلم العين إذا سرقت النظر إلى محرم.

والله يقضى بالحق : أي لكمال قدرته وعلمه يحكم بالحق.

والذين يدعون من دونه : أي والذين يدعوهم مشركو قريش من أصنام لا يقضون بشيء عدلاً كان أو جوراً لأنهم أصنام لا تسمع ولا تبصر.

معنى الآيات :

بعد بيان الموقف الصعب في عرصات القيامة في الآيات السابقة قال تعالى لرسوله ﴿وأنذرهم﴾ يارسولنا أي خوف قومك ﴿يوم الآزفة﴾[1] وهي القيامة القريبة والتي قد قربت فعلاً وكل ما هو ـ اتٍ قريب أنـذرهم قربها حتى لا يوافوها بالشرك والمعاصي فيخسروا خسراناً مبيناً، أنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب[2] من شدة الخوف ترتفع إلى الحناجر[3] وهم يكظمونها فلا هي تخرج فيموتوا ولا هي تعود إلى أماكنها فيستريحوا.

﴿مـا للظالمين﴾ وهم أهل الشرك والمعاصي ﴿من حميم﴾ قريب أو حبيب يدفع عنهم العـذاب ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم وتقبل شفاعته ويطاع فيها لا ذا ولا ذاك بالفظاعة الحال وقوله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين[4]﴾ يخبر تعالى عن سعة علمه وواسع اطلاعه أنه يعلم خائنة الأعين وهي العين تسترق النظر إلى المحارم، ويعلم ﴿ما تخفي الصدور[5]﴾ أي وما تكتمه صدور العباد وما تضمره من خير وشر، ولذا فسوف يكون الحساب دقيقا ومن نوقش الحساب عُذب. ﴿والله يقضي بالحق﴾ أي يحكم بالعدل، ﴿والذين يدعون من[6] دونه﴾ أي والذين يعبدهم المشركون من أصنام وأوثان ﴿لا يقضون بشيء[7]﴾ لأنهم لا يسمعون ولا يُبْصرون.

وقوله ﴿إنَّ الله هو السميع البصير﴾ السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم فلذا إذا حكم يحكم بالحق ويقدر على إنفاذ الحكم فيجزى السيئة بالسيئة والحسنة بعشر أمثالها.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان هول يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه.

---

(١) يقال أزف فلان يأزف أزفا قال النابغة:

أزف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

(٢) القلوب: جمع قلب وهو البضعة الصنوبرية الشكل التي تتحرك دائماً ما دام الجسم حياً تدفع الدم إلى الشرايين التي بها حياة الجسم.

(٣) الحناجر جمع حنجرة بفتح الحاء والجيم وهي الحلقوم.

(٤) أي الله جل جلاله يعلم الأعين الخائنة قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يكون جالساً مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها.

(٥) قال ابن عباس وما تخفي الصدور أي هل يزني بها من سرق النظر إليها لو خلا بها أو لا.

(٦) قرأ نافع تدعون بالتاء وقرأ حفص بالياء يدعون.

(٧) من جملتي والله يقضي بالحق وجملة والذين يدعون من دونه قبلها تألف قصر القضاء على الله تعالى قصر قلب أي دون الأصنام. كما افيد القصر من ضم الجملتين في قول الشاعر:

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

٢ ـ إنعدام الحميم والشفيع للظالمين يوم القيامة.

٣ ـ بيان سعة علم الله تعالى حتى إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٤ ـ قضاء الله عدل وحكمه نافذ وذلك لكمال علمه وقدرته.

۞ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

أو لم يسيروا في الأرض : أي أغفل كفار قريش ولم يسيروا في الأرض.

فينظروا : أي بأعينهم.

كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم : إنها كانت دماراً وخساراً ووبالاً عليهم.

كانوا هم أشدَّ منهم قوة وآثاراً في الأرض : ولم يغن ذلك عنهم من الله شيئاً.

فأخذهم الله بذنوبهم : أي عاقبهم بذنوبهم فدمرهم وأهلكهم.

وما كان لهم من الله من واق : أي ولم يوجد لهم من عقاب الله من واق يقيهم منه.

ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات : أي بالحجج والبراهين والأدلة والمعجزات.

فكفروا : أي بتلك الحجج والآيات.

فأخذهم الله : أي لما كفروا أخذهم بكفرهم.

إنه قوي شديد العقاب : هذا تعليل لأخذه إيّاهم.

معنى الآيات :

تقدم في السياق تخويف الله تعالى لمشركي قريش بعذاب الآخرة، ومبالغة في نصحهم وطلب هدايتهم خوفهم بعد عذاب الآخرة بعذاب الدنيا لعلهم يتوبون فقال: أو لم يسيروا في[1] الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض أي أغفل هؤلاء المجاحدون المعاندون ولم يسيروا في البلاد شمالاً وجنوبا حيث ديار عاد في الجنوب وديار ثمود في الشمال فينظروا بأعينهم كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كعاد وثمود كان أولئك أشد من هؤلاء قوة وأثاراً في الأرض من حيث البناء والعمران والقدرة على الحرب والقتال، فأخذهم الله بذنوبهم[2] أي بذنوب الشرك والتكذيب والمعاصي، ولما أخذهم لم يوجد لهم من عقاب الله وعذابه من واق يقيهم ما أنزل الله بهم وما أحله بساحتهم. فما لهؤلاء المشركين لا يتعظون ولا يعتبرون والعاقل من اعتبر بغيره.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله بذنوبهم﴾ هذا تعليل لأخذ الله لأولئك الأقوام من عاد وثمود وغيرهم إذ ما أخذهم إلا بعد أن أنذرهم وأعذر إليهم فلما أصروا على الكفر والتكذيب أخذهم بذنوبهم. وقوله ﴿ إنه قوي شديد العقاب﴾[3] تعليل أيضاً للأخذ الكامل الذي أخذهم به لعظم قوته وشدّة عقابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير الحكمة القائلة: العاقل من اعتبر بغيره.

٢ ـ الأخذ بالذنوب سنة من سنن الله في الأرض لا تتبدل[4] ولا تتحول.

٣ ـ من أراد الله عقابه لا يوجد له واق يقيه، ولا حَام يحميه، ومن تاب تاب الله عليه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ

---

(١) الاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم سيرهم في ديار الهالكين ليروا بأعينهم آثار الهالكين ويفكروا في سبب هلاكهم ليحصل لهم بذلك العبرة المطلوبة لهم.

(٢) الباء في بذنوبهم سببية إذ هلاكهم متسبب عن ذنوبهم وهي الشرك والمعاصي.

(٣) الجملة تعليلية لما قبلها من أخذ الله تعالى المشركين بذنوبهم في التكذيب والشرك والمعاصي.

(٤) إلا أن يشاء الله إيقافها أو تبديلها فهو على ما يشاء قدير.

عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

شــرح الكلمـات:

بآياتنا وسلطان مبين : أي بحججنا، وبرهان بين ظاهر

هامان وقارون : هامان وزير فرعون، وقارون رجل الملايين.

فقالوا ساحر كذاب : أي لمـا رأوا آية العصـا واليد البيضـاء قالـوا: ساحر كذاب دفعاً لقومهم حتى لا يؤمنوا به.

فلما جاءهم بالحق من عندنا : أي جاءهم موسى بالصدق فيما أخبرهم به من أنه رسول الله وطالبهم بإرسال بني إسرائيل معه.

قالوا اقتلوا أبناء الذين امنوا معه : أي اقتلوا الأولاد الذكران.

واستحيوا نساءهم : أي بناتهم بمعنى أتركوهن حيات.

وما كيد الكافرين إلا في ضلال : أي وما مكرهم إلا في خسران وضياع.

ذروني أقتل موسى وليدع ربه : أي دعوني واتركوني وليدع ربَّه ليمنعه مني.

إني أخاف أن يبدل دينكم : أي يغير عبادتكم لآلهتكم لعبادة إلهه.

أو أن يظهر في الأرض الفساد : بالقتل والتخريب ونحوه.

إني عذت بربي وربكم : أي استجرت بخالقي وخالقكم.

من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب : أي من كل إنسان متكبر لا يؤمن بيوم الحساب والجزاء على الأعمال.

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة الربانيَّة لقريش إلى الإيمان والتوحيد والتصديق بالبعث والجزاء، ومافيها من مظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته وعدله، وبعد ذلك العرض لأحوال القيامة، وبيان الجزاء لكل من الكافرين والمؤمنين فيها كأنه يُرى رأي العين، وبعد ذلك الترغيب والترهيب مما في الدنيا والآخرة والمشركون لايزدادون إلا عُتواً وطغياناً بعد كل ذلك قص الله تعالى على رسوله قصة موسى مع فرعون ليُسلِّيه بها ويصبره وليعلمه أن البلاء مهما اشتد يعقبه الفرج، وأن الله ناصره على قومه كما نصر موسى على فرعون وقومه فقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا﴾ أي قبلك يارسولنا ـ موسى بن عمران بآياتنا[1] أي بأدلتنا وحججنا على صدق دعوته وصحة رسالته، وسلطان مبين أي وبرهان ظاهر بيّن أرسلناه إلى فرعون وهامان وقارون[2] فهامان وزير فرعون وقارون من أرباب الملايين وهو وإن لم يكن من آل فرعون لأنه من بني إسرائيل إلا أنه مالأ فرعون ووقف في صفه، فلما بلغهم موسى دعوة ربه وأراهم الحجج والبراهين قالوا ساحر[3] كذاب فرموه بقاصمتين السحر والكذب حماية لمصالحهم وخوفا من تغيير الوضع عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾ أي فلما جاءهم موسى بالصدق من عند الله كان رَدُّ الفعل منهم أن أمروا بقتل الذكور من أولاد الذين آمنوا معه، واستحياء بناتهم للخدمة والامتهان وهو ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾ وقوله تعالى وما كيد فرعون إلا في ضلال﴾ عام في كل كيد كافر يبطله الله تعالى ولا يضر به أولياءه وقوله تعالى: ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ لا شك أن هذا القول الدال على طغيان فرعون كان بعد أن انهزم في ميادين عدة أراد أن يسترد بعض ما فقد فقال ذروني أقتل موسى أي اتركوني أقتل موسى ﴿وليدع ربه[4]﴾ أي ليمنعه مني، وعلل لقوله هذا بقوله إني أخاف أن يبدِّل دينكم، أي بعد أن يغلب عليكم فتدينون بدينه أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والفتن.

ورد موسى عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿وقال موسى إني عذت بربي

---

(١) هي الآيات التسع.
(٢) خص بالذكر هامان وقارون لقوة تأثيرهما في البلاد وإدارة الدولة وعز السلطان.
(٣) لما بهرتهم الآيات وعجزوا عن مقاومتها رموا موسى بالسحر واتهموه بالكذب كرد فعل وهروباً من المواجهة.
(٤) من الجائز أن يكون قد قال له بعض رجاله أما تخاف أن يدعو عليك ربه فتهلك فأجابه قائلا وليدع ربه.

وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ قال موسى هذا لما سمع مقالة فرعون التي يهدده فيها بالقتل فأعلمهم أنه قد استجار بالله وتحصن به فلا يقدر أحد على قتله، وقوله من كل متكبر[1] لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من يؤمن بيوم الحساب لا يقدم على جريمة القتل وإنما يقدم عليها من لا يؤمن بحساب ولا جزاء في الدار الآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تسلية الرسول وحمله على الصبر والتحمل وهو في أشد الظروف صعوبة.

٢ ـ عدم تورع الظلمة في كل زمان عن الكذب وتلفيق التهم للأبرياء.

٣ ـ التهديد بالقتل شنشنة الجبارين والطغاة في العالم.

٤ ـ أحسن ملاذ للمؤمن من كل خوف هو الله تعالى رب المستضعفين.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

شـرح الكلمـات :

وقال رجل من آل فرعون — هو شمعان بن عم فرعون.

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟: أي لأن يقول ربي الله؟ والرجل هو موسى عليه السلام.

---

(١) متكبر: متعظم عن الإيمان بالله.وصفته انه لا يؤمن بيوم الحساب.

بالبينات من ربكم : أي بالمعجزات الظاهرات.
فعليه كذبه : أي ضرر كذبه عليه لا عليكم.
يصبكم بعض الذي يعدكم : أي بعض العذاب الذي يعدكم به في الدنيا عاجلاً غير آجل.
من هو مسرف كذاب : أي مسرف في الكفر والظلم كذاب لا يقول الصدق ولا يفوه به.
ظاهرين في الأرض : أي غالبين في بلاد مصر وأراضيها.
فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا : أي من عذاب الله إن جاءنا وقد قتلنا أولياءه.
ما أريكم إلا ما أرى: أي ما أشير به عليكم إلا ما أشير به على نفسي وهو قتل موسى
وما أهديكم إلا سبيل الرشاد : أي إلا طريق الرشد والصواب.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عما دار في قصر فرعون فقد أبدى فرعون رغبته في إعدام موسى معللاً ذلك بأمرين أن يبدل دين الدولة والشعب، والثاني أن يظهر الشغب في البلاد والتعب للدولة والمواطنين معاً. وهاهو ذا رجل مؤمن من رجالات القصر يكتم إيمانه بموسى وبما جاء به من التوحيد خوفا من فرعون وملئه. ولنستمع إلى ما أخبر تعالى به عنه: ﴿وقال رجل مؤمن﴾[1] أي بموسى ﴿من آل فرعون﴾ إذ هو ابن عم فرعون واسمه شمعان كسلمان قال: ﴿أتقتلون﴾[2] ينكر عليهم قرار القتل ﴿رجلاً أن يقول ربي الله﴾ أي لأن قال ربي الله ﴿وقد جاءكم من البينات﴾ وهي الحجج والبراهين كالعصا واليد ﴿من ربكم﴾ الحق الذي لا رب لكم سواه. ﴿وإن يك كاذباً[3]﴾ أي وإن فرضنا أنه كاذب فإن ضرر كذبه عائد عليه لا عليكم ﴿وإن يك صادقاً﴾ وهو صادق ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم[4]﴾ من العذاب العاجل. إن الله تعالى لا يهدي أي لا يوفق إلى النصر والفوز في أموره ﴿من هو مسرف[5]﴾ متجاوز الحد في الاعتداء والظلم ﴿كذاب﴾ مفتر يعيش على الكذب فلا يعرف الصدق. وبعد أن بين لهم هذه الحقيقة العلمية

---

(١) في نص هذا الخبر تسلية للنبي ﷺ.
(٢) الاستفهام للإنكار ينكر على فرعون وملئه عزمهم على قتل موسى عليه السلام.
(٣) لم يكن قوله وإن يك كاذباً شكاً في صدق موسى وإنما هو من باب التلطف والتنزل مع الخصم حتى لا يلج في الجدال والخصومة وحذفت النون من وإن يك لكثرة الاستعمال.
(٤) أي إن لم يصبكم إلا بعض الذي يعدكم به هلكتم، وجائز ان يطلق البعض وهو يريد الكل وهو سائغ وشائع قال الشاعر:
قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل
(٥) إن كان هذا الموصوف الرجل المؤمن فهو إشارة إلى موسى وإن كان من قول الله تعالى فهو إشارة إلى فرعون.

الثابتة أقبل عليهم يعظهم فقال: ﴿ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ أي غالبين في الأرض أي أرض مصر بكامل ترابها وحدودها. لكن إن نحن أسرفنا في الظلم والافتراء فقتلنا أولياء الله فجاءنا بأس الله عقوبة لنا فمن ينصرنا؟ إنه لا ناصر لنا أبداً من الله فتفهموا ما قلت لكم جيداً، ولا يهلك على الله إلا هالك، وهنا قام فرعون يرد على كلمة الرجل المؤمن فقال ما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي ما أشير عليكم بشيء إلا وقد رأيته صائبا وسديداً، يعني قتل موسى عليه السلام، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أي إلاّ إلى طريق الحق والصواب، وكذب والله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ فضل الإيمان وفضل صاحبه فقد ورد الثناء على هذا الرجل في ثلاثة رجال هم مؤمن آل فرعون هذا، وحبيبٌ النجار مؤمنُ آل ياسين وأبوبكر[1] الصديق رضي الله عنه.

٢ ـ فصاحة مؤمن آل فرعون هي ثمرة إيمانه وبركته العاجلة فإن لكلماته وقع كبير في النفوس.

٣ ـ التنديد بالإسراف في كل شيء والكذب والافتراء في كل شيء وعلى أي شيء.

٤ ـ من عجيب أمر فرعون ادعاؤه أنه يهدي إلى الرشد والسداد والصواب في القول والعمل، حتى ضرب به المثل فقيل: فرعون يهدي إلى الرشد.

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

---

(١) روى البخاري وغيره أن المشركين تعرضوا للرسول ﷺ حول الكعبة بسوء فجاء أبو بكر يصرخ فيهم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله. فضربوه ضرباً شديداً حتى أغمي عليه فلما أفاق قال كيف رسول الله ﷺ؟ قال عليّ أبو بكر أفضل من مؤمن آل فرعون لأن أبا بكر ما أخفى إيمانه بل أظهره وأوذي ومؤمن آل فرعون كتم إيمانه ولم يؤذ.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

شـرح الكلمـات:

وقال الذي آمن : أي مؤمن آل فرعون.

مثل يوم الأحزاب : أي عذابا مثل عذاب الأحزاب وهم قوم نوح وعاد وثمود.

مثل دأب قوم نوح : أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم وهي استمرارهم على الكفر حتى الهلاك فهذا الذي أخافه عليكم.

يوم التناد : أي يوم القيامة وقيل فيه يوم التنادي لكثرة النداءات فيه إذ ينادي أصحب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة.

يوم تولون مدبرين : أي هاربين من النار إلى الموقف.

ولقد جاءكم يوسف من قبل : أي يوسف بن يعقوب الصديق بن الصديق عليهما السلام من قبل مجيء موسى إليكم اليوم.

قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا: أي قلتم هذا من دون دليل فبقيتم كافرين إلى اليوم.

كذلك يضل الله من هو مسرف : أي مثل إضلالكم هذا يضل الله من هو مسرف في الشرك والظلم.

مرتاب : أي شاك فيما قامت الحجج والبينات على صحته.

يجادلون في آيات الله بغير سلطان : أي يخاصمون في آيات الله لإبطالها بدون سلطان أي حجة وبرهان.

كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا: أي كبر جدالهم بالباطل مقتا عند الله وعند الذين آمنوا

كذلك : أي مثل إضلالهم يطبع الله أي يختم بالضلال على كل قلب متكبر.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فيما دار من كلام في مجلس الحكومة، وهاهوذا مؤمن آل فرعون يتناول الكلمة بعد فرعون الذي أعاد تقرير ما عزم عليه من قتل موسى عليه السلام فقال ما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿وقال الذي آمن﴾ وهنا أعلن عن إيمانه الذي كان يكتمه ياقوم إني أخاف عليكم أي إن أنتم أصررتم على قتل موسى وقتلتموه ﴿أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ وهو اليوم الذي أخذ الله فيه قوم نوح، وعاد وثمود أي أخاف عليكم جزاء عادتهم وهي استمرارهم على الكفر والشك والتكذيب حتى حلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه وواصل وعظه قائلاً، ﴿وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد[1] يوم تولون مدبرين﴾ أي فارين من النار هاربين إلى الموقف وهو يوم القيامة الذي تكثر فيه النداءات والصرخات ﴿مالكم[2] من الله من عاصم﴾ يعصمكم من العذاب وينجيكم منه. وبعد هذا الوعظ البليغ قال﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ إشارة إلى أن القوم لم يتأثروا بكلامه فقال متعزياً بعلمه بتدبير الله في خلقه فقال: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ فإن من كتب الله عليه الضلالة ليصل إلى الشقاوة بكسبه فلا هادي له أبداً، إذ الله لا يهدي من يُضل ثم قال لهم مواصلا كلامه ﴿ولقد جاءكم[3] يوسف من قبل﴾ أي من قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام بالبينات والحجج الدالة على توحيد الله ووجوب طاعته، غير أنكم مع الأسف﴿مازلتم في شك مما جاءكم به﴾ فلم تؤمنوا ولم توقنوا ﴿حتى إذا[4] هلك﴾ أي مات عليه السلام فرحتم بموته ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ متخرصين متقولين على الله بدون علم فأضلكم الله بكذبكم عليه ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف[5]﴾ في الكذب مثلكم ﴿مرتاب﴾ في كل شيء لا يعرف اليقين في شيء، والعياذ بالله، ثم

---

(١) قراءة العامة التناد بتخفيف الدال من النداء وهو الدعاء والطلب للحضور أو الإغاثة وقرىء التنادّ بتشديد الدال من نَدّ البعير إذا هرب إذ هم فعلاً يهربون وشاهده في الآية يوم تولون مدبرين. والجمهور على حذف الياء وقفاً ووصلاً. وبعضهم أثبتها وصلا ووقفا وكلا القراءتين صحيحة.

(٢) هذه الجملة في موقع الحال والعاصم المانع والحافظ.

(٣) لما تَفَرّسَ فيهم عدم نفع النصح لهم آثر عتابهم ولومهم بقوله ولقد جاءكم يوسف الخ واللام في ولقد جاءكم لام القسم لأنهم كالمنكرين فلذا أكد الخبر بالقسم.

(٤) إذا اسم للزمان الماضي مجرورة بحتى قبلها وليست بظرف أي حتى زمن هلاك يوسف قلتم.. والقائل أسلافهم الغابرون يوم مات يوسف عليه السلام.

(٥) المسرف: المفرط في فعل أو قول مالا خير فيه، والمرتاب الشديد الريب أي الشك.

أعلمهم أن الذين يجادلون في آيات الله يريدون إبطال الحق وإطفاء نوره بكلامهم بغير حجة لديهم ولا برهان أتاهم جدالهم ذلك أكبر مقتا أي أشد شيء يمقته الله ويبغضه من صاحبه، وكذلك عند الذين آمنوا. وختم كلامه بقوله ﴿كذلك[1] يطبع الله﴾ أي كإضلال من هو مسرف مرتاب يطبع الله ﴿على كل قلب متكبر[2]﴾ أي قلب كل إنسان متكبر على الإيمان والطاعة متجبر متعاظم يريد إجبار الناس على مراده ومايهواه. وإلى هنا انتهى كلام الرجل المؤمن والكلمة الآن إلى فرعون الطاغية وسنقرأها في الآيات التالية بعد رؤية ما في الآيات من هداية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ قوة الإيمان تفجر قلب المؤمن بأنواع من المعرفة والحكمة في قوله إذا قال.

٢ ـ التذكير بالأمم الهالكة إذْ العاقل من اعتبر بغيره.

٣ ـ التخويف من عذاب الآخرة وأهوال القيامة.

٤ ـ التنديد بالإسراف والارتياب وعدم اليقين.

٥ ـ حرمة الجدال بغير علم، وأن صاحبه عرضة لمقت المؤمنين بعد مقت الله تعالى.

٦ ـ عرضة المتكبر الجبار للطبع على قلبه ويومها يحرم الهداية فلا يُهدى أبداً.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ

(١) جائز أن يكون هذا من كلام مؤمن آل فرعون ختم به كلامه معهم. وجائز أن يكون من كلام الله تعالى معترض بين كلام المؤمن وكلام فرعون.

(٢) المتكبر هو ذو الكبر والجبار الذي يكره الناس على ما لا يحبون عمله لظلمه وعتوه وقرأ الجمهور على كل قلب متكبر. باضافة قلب إلى متكبر وقرأ بعضهم بتنوين قلب بدون إضافة فيكون متكبر نعتاً لقلب.

دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

شـرح الكلمـات:

ياهامان ابن لي صرحا	: هامان وزير فرعون والصرح البناء العالي.
أسباب السموات	: أي طرقها الموصلة إليها.
وإني لأظنه كاذباً	: أي وإني لأظن موسى كاذباً في زعمه أن له إلهاً غيري.
سوء علمه	: أي قبيح عمله.
وصد عن السبيل	: أي عن طريق الهدى.
إلا في تباب	: أي خسار وضياع بلا فائدة تذكر.
إنما هذه الحياة الدنيا متاع	: أي ما هذه الدنيا إلا متاع يتمتع به وقتاً ثم يزول.
دار القرار	: أي الاستقرار والبقاء الأبدي.
يرزقون فيها بغير حساب	: أي رزقا واسعاً بلا تبعة ولا تعقيب.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم فيما يدور من كلام بين مؤمن آل فرعون وفرعون نفسه إذ تقدم قول المؤمن وماحواه من نصح وإرشاد وهاهو ذا فرعون يرد بطريق غير مباشر على[1] ما قاله المؤمن فقال: لوزيره هامان ﴿ياهامان ابن لي صرحاً﴾ أي بناءً عالياً ﴿لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني[2] لأظنه كاذباً﴾ أي في دعواه أن له إلهاً غيري وهذا من فرعون مجرد مناورة كاذبة يريد أن يموه بها على غيره إبقاء على مركزه وقوله تعالى: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ أي ومثل هذا التزيين في قول فرعون زين له سوء عمله وهو أقبح ما يكون، ﴿وصُدَّ عن السبيل[3]﴾ أي وصُرف عن

(١) خاف فرعون أن يؤثر كلام مؤمن آل فرعون في الذين سمعوه فأوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد فإن بان له صوابه لم يخفه عنهم، وإن لم يظهر صوابه ثبتهم على دينهم فقال لوزيره ابن لي صرحاً الخ.

(٢) أسباب السموات بدل من أسباب الأول. والأسباب جمع سبب وهو ما يوصل إلى مكان بعيد فيطلق على الحبل ويطلق على الطريق والمراد هنا طُرُق السموات كما في قول زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه   وان يرق أسباب السماء بسلم

(٣) قرأ نافع وصد بفتح الصاد من صد اللازم يصُدُّ أو المتعدي أي صد نفسه وصد غيره وقرأ حفص وصد بالبناء للمجهول أي بصَدِّ الصاد أي صده الله وصرفه عقوبة له لشدة كفره وظلمه.

طريق الحق والهدى، وقوله تعالى: ﴿وما كيد فرعون﴾ أي مكره وتدبيره لقتل موسى عليه السلام وقتل أبناء المؤمنين ﴿إلا في تباب﴾ أي خسار وضياع لم يتحقق منه شيء، لأن الله تعالى ولي موسى والمؤمنين فلم يمكن فرعون منهم بحال. وبعد أن أخبر تعالى عن فرعون في محاولته الفاشلة أخبر تعالى عن الرجل المؤمن[1] وما قاله للقوم من نصح وإرشاد فقال: ﴿وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾ أي طريق الرشد والصواب في حياتكم لتنجوا من العذاب وتفوزوا بالنعيم المقيم في الجنة. فقال: ﴿ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ أي لا تَعْدو كَوْنها متاعا قليلا يُتمتع به ثم يذهب سريعاً، ﴿وإن الآخرة﴾ أي الحياة الآخرة بعد انتهاء هذه الحياة ﴿لهي دار[2] القرار﴾ أي الاستقرار والإقامة الأبدية، فاعملوا لدار البقاء وتجافوا عن دار الفناء واعلموا أن الحساب سريع وأن ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ وذلك لعدالة الرب تبارك وتعالى، ومن عمل صالحاً من الأعمال الصالحة التي شرعها الله لعباده وتعبدهم بها والحال[3] أنه مؤمن أي مصدق بالله وبوعده ووعيده يوم لقائه فأولئك أي المؤمنون العاملون للصالحات[4] من الذكور والإناث يدخلون الجنة دار السلام يرزقون فيها بغير حساب أي رزقاً واسعاً لا يلحق صاحبه تبعة ولا تعب ولا نصب.

هداية الايات:

من هداية الآيات:

١ ـ التحذير من تزيين الأعمال القبيحة نتيجة الإدمان عليها والاستمرار على فعلها فإن من زُينت له أعماله السيئة فأصبح يراها حسنة هلك والعياذ بالله.

٢ ـ التحذير من الاغترار بالدنيا والغفلة من الآخرة إذ الأولى زائلة والآخرة باقية واختيار الباقي على الفاني من شأن العقلاء.

٣ ـ مشروعية التذكير بالحساب والجزاء ومايتم في الدار الآخرة من سعادة وشقاء.

---

(١) هو مؤمن آل فرعون الذي أظهر ايمانه بعد كتمانه.

(٢) يريد بالدار دار السلام الجنة ودار البوار النار.

(٣) لأن جملة قوله تعالى «وهو مؤمن» حالية وإن كانت شرطاً في صحة الأعمال الصالحة وفي قبولها ولذا لمّا لم يذكر الإيمان قبل العمل الصالح ذكره في الجملة الحالية ليدلل على تقدمه وشرطيته.

(٤) قرأ الجمهور يدخلون بالبناء للفاعل وقرأ بعض يدخلون بضم الياء وفتح الخاء بالبناء للمجهول والمعنى واحد إذ من دخل دخل بإذن الله ومن أدخل أدخل بإذن الله وفضله.

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾

شـرح الكلمات:

أدعوكم إلى النجاة : أي من الخسران في الدنيا والآخرة، وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

وتدعونني إلى النار : أي إلى عذاب النار وذلك بالكفر والشرك بالله تعالى.

ما ليس لي به علم : أي لا علم لي بصحة إشراكه في عبادة الله تعالى.

وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار : أي وأنا أدعوكم إلى الإيمان وعبادة الله العزيز أي الغالب على أمره الغفار لذنوب التائبين من عبادة المؤمنين به.

لا جرم أن ما تدعونني إليه : أي حقا أن ما تدعونني إلى الإيمان به وبعبادته.

لي له دعوة في الدنيا والآخرة : أي ليس له دعوة حق إلى عبادته، ولا دعوة استجابة بأن يستجيب لمن دعاه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وأن المسرفين هم أصحاب النار: أي وأن المسرفين في الكفر والشرك والمعاصي هم أهل النار

الواجبة لهم.

فوقاه الله سيئات ما مكروا : أي فحفظه الله من مكرهم به ليقتلوه.

وحاق بآل فرعون سوء العذاب : أي عذاب الغرق إذ غرق فرعون وجنده أجمعون.

النار يعرضون عليها غدوا وعشيا : أي أن سوء العذاب هو النار يعرضون عليها صباحا ومساء وذلك أن أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار كل يوم مرتين.

ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون : أي ويوم القيامة يقال أدخلوا آل فرعون أشد العذاب.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في ذكر نصائح وارشاد مؤمن آل فرعون فقد قال ما أخبر به تعالى عنه في قوله: ﴿ وياقوم[١] مالي أدعوكم إلى النجاة﴾ أي من النار وذلك بالإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي ﴿وتدعونني إلى النار﴾ وذلك بدعوتكم لي إلى الشرك والكفر تدعونني[٢] لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أي ما لا علم لي بصحة إشراكه في عبادة الله تعالى. وأنا أدعوكم إلى العزيز[٣] الغفار أي لتؤمنوا به وتعبدوه وحده ولا تشركوا معه غيره أدعوكم إلى العزيز أي الغالب الذي لا يُغلب الغفار لذنوب التائبين من عباده مهما كانت، وأنتم تدعونني إلى أذل شيء وأحقره لا ينفع ولا يضر لأنه لايسمع ولا يبصر. لا جرم أي حقا أن ما تدعونني إليه لأومن به وأعبده ليس له دعوة[٤] حق يدعى بها إليه، و لادعوة استجابة فإنه لايستجيب لي دعاء أبداً لا في الدنيا ولا في[٥] الآخرة. وشيء آخر ياقوم وهو أن مردنا إلى الله أي لا محالة نرجع إليه فالواجب أن نؤمن به ونعبده ونوحده ما دام رجوعنا إليه، وآخر وهو ﴿أن المسرفين[٦] هم أصحاب النار﴾ المسرفين الذين أسرفوا في الكفر والشرك والمعاصي فتجاوزوا الحد في ذلك هم أصحاب النار أي أهلها الذين لا يفارقونها ولا تفارقهم.

---

(١) الاستفهام هنا تعجبي باعتبار تقييده بجملة الحال وهي وتدعونني إلى النار إذ هي في موضع الحال تقدير مبتدأ أي وأنتم تدعونني إلى النار.

(٢) هذه جملة بيان لجملة وتدعونني إلى النار.

(٣) العدول عن اسم الجلالة إذ لم يقل أدعوكم إلى الله إلى الصفتين العزيز والغفار لإيضاح الاستدلال على استحقاقه الإقرار بالألوهية والعبادة.

(٤) ليس له دعوة توجب له الالوهية وليس له استجابة دعوة تنفع لا هذه ولا تلك فبأي حق إذاً يدعى ويعبد؟

(٥) أي ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة.

(٦) الإسراف هنا الإفراط في الكفر والظلم بسفك دماء بني اسرائيل بذبح أبنائهم وليصرف فرعون عن عزمه عن قتل موسى عليه السلام وفي الكلام تعريض بالذين يخاطبهم إذ هم مسرفون إلى أبعد حد في الظلم والكفر.

وقوله: ﴿فستذكرون[1] ما أقول لكم﴾ يبدو أنه قال هذا القول لما رفضوا دعوته وهموا بقتله ويدل عليه قوله: وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

وقوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا[2]﴾ أي حفظه الله تعالى من مكرهم به ليقتلوه فنجاه الله تعالى إذ هرب منهم فبعث فرعون رجالاً في طلبه فلم يقدروا عليه ونجا مع موسى وبني إسرائيل وقوله ﴿وحاق[3] بآل فرعون سوء العذاب﴾ وذلك بأن أغرقهم الله في البحر أجمعين.

وقوله ﴿النار[4] يعرضون عليها﴾ إخبار بأن أرواح آل فرعون تعرض في البرزخ على النار غدواً وعشياً وذلك بأن تكون في أجواف طير سود على خلاف أرواح المؤمنين فإنها تكون في أجواف طير خضر ترعى في الجنة. إلى يوم القيامة.

ويوم تقوم الساعة يقال أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وهو عذاب جهنم والعياذ بالله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان الفرق الكبير بين من يدعو إلى النجاة وبين من يدعو إلى النار، بين من يدعو إلى العزيز الغفار ليؤمن به ويُعبد. وبين من يدعو إلى اوثان لاتسمع ولا تبصر وهي أحقر شيء وأذله في الحياة، وبين من يدعو من لايستجيب له في الدنيا والآخرة وبين من يدعو من يستجيب له في الدنيا والآخرة.

٢ - التنديد بالإسراف وفي كل شيء.

٣ - نعم ما ختم به مؤمن آل فرعون وعظه ونصحه لقومه وهي فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

٤ - إثبات عذاب القبر ونعيمه إذ آل فرعون تعرض أرواحهم على النار صباح مساء.

---

(١) هذا الكلام مشاركة لهم وإنهاء لخطابهم كأنه استشعر منهم ما جعله ينهي الكلام معهم إما لاحظ في ذلك من ملامحهم أو من كلام سمعه منهم.

(٢) ما مكروا: ما مصدرية أي سيئات مكرهم.

(٣) حاق: أحاط والعذاب الغرق.

(٤) في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾
قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟
بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

وإذ يتحاجون في النار : أي وانذرهم يوم الآزفة وإذ يتحاجون في النار أي يتخاصمون.

فيقول الضعفاء : أي الاتباع الضعفاء الذين اتبعوا الأغنياء والأقوياء في الشرك.

إنا كنا لكم تبعا : أي تابعين لكم فيما كنتم تعتقدونه وتفعلونه.

فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار؟ : أي فهل تدفعون عنا شيئاً من النار.

إن الله قد حكم بين العباد : فلا مراجعة أبداً فقد حكم لأهل الإيمان والتقوى بالجنة فهم في الجنة ولأهل الشرك والمعاصي بالنار فهم في النار.

لخزنة جهنم : أي جمع خازن وهو الموكل بالنار وأهلها.

يخفف عنا يوما من العذاب : أي قدر يوم من أيام الدنيا إذ الآخرة يوم واحد لا ليل له.

إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا : أي بأن نظهر دينهم، أو نهلك قومهم وننجيهم من الهلاك.

ويوم يقوم الأشهاد : أي وتنصرهم يوم يقوم الأشهاد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ.

ولهم اللعنة ولهم سوء الدار : أي ولهم اللعنة أي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار أي الآخرة أي شدة عذابها.

معنى الآيات:

هذا عرض آخر للنار وما يجرى فيها بعد العرض الذي كان لآل فرعون في النار يعرض على كفار قريش ليشاهدوا مصيرهم من خلاله إذا لم يتوبوا إلى الله من الكفر والتكذيب والشرك تضمّنته ست آيات قال تعالى: ﴿وإذ يتحاجُّون[1] في النار﴾ أي وأنذرهم واذكر لهم إذْ يتحاجون في النار أي يتخاصمون فيها فيقول الضعفاء الأتباع الذين كانوا يتبعون أغنياء وأقوياء البلاد طمعا فيهم وخوفا منهم. قالوا للذين استكبروا بقوتهم عن الإيمان ومتابعة الرسل، إنا كنا لكم تبعاً[2] أي تابعين، فهل أنتم[3] مغنون عنا نصيبا من النار؟ أي فهل في إمكانكم أن تخففوا عنا حظا من عذاب النار؟ فأجابوهم قائلين بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قال الذين استكبروا إنا كل فيها أي نحن وأنتم إن الله قد حكم بين العباد فقضى بالجنة لأهل الإيمان والتقوى، وبالنار لأهل الشرك والمعاصي هذه كانت خصومة الأتباع مع المتبوعين ولم تنته إلى طائل إلا زيادة الحسرة والغم والهم. وقوله تعالى: ﴿وقال الذين في[4] النار لخزنة جهنم﴾ وهم الملائكة المكلفون بالنار وعذابها قالوا لهم ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب﴾ أي مقدار يوم من أيام الدنيا إذْ الآخرة لا ليل فيها وإنما هي يوم واحد. فردت عليهم الملائكة قائلة بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ أي أتقولون ادعوا لنا ربكم ليخفف عنكم العذاب أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات أي بالحجج الظاهرة الدالة على وجوب الإيمان والتقوى بترك الشرك والمعاصي. قالوا بلى أي اعترفوا فقالت لهم الملائكة إذاً

---

(١) التحاج: الاحتجاج من جانبين فأكثر أي إقامة كل فريق حجته للفريق المضاد المخاصم.

(٢) تبعاً: اسم لمن يتبع غيره يستوي فيه الواحد وأكثر نحو خدم وحشم.

(٣) فهل انتم مغنون الاستفهام هنا معناه الحث على طلب خلاصهم من النار واللوم على تركهم وعدم الاهتمام بما هم فيه من العذاب.

(٤) الذين في النار هذا شامل للضعفاء والمستكبرين والخزنة جمع خازن وهم الملائكة الموكلون بالنار وعذاب أهلها.

فادعوا[1] أنتم ربكم ولكن لا يستجاب لكم إذ ما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلا يستجاب له أبداً

وقوله تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا﴾[2] تقرير لحقيقة عظمى، وهي أن من سنة الله في رسله أنه ينصرهم بانتصار دينهم وما يهدون ويدعون إليه، وإن طال الزمن واشتدت الفتن والمحن، أو بإهلاك أممهم المكذبة لهم وإنجائهم والمؤمنين معهم قال تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ وقوله : ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ أي[3] وينصرهم في الآخرة يوم يقوم الأشهاد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكافرين بالتكذيب,

وقوله : ﴿يوم لا ينفع الظالمين[4] معذرتهم﴾ إذا أذن لهم في الاعتذار لا تقبل معذرتهم ﴿ولهم اللعنة﴾[5] أي البعد من الرحمة والجنة ﴿ولهم سوء الدار﴾ الآخرة وهو أشد عذابها.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان تخاصم أهل النار وهو ما يتم من خصومة بين الأتباع والمتبوعين.

٢ ـ التنديد بالكبر والاستكبار إذ الكبر عائق عن الطاعة والاستقامة.

٣ ـ عدم استجابة دعاء الكافر في الدنيا والآخرة إلا ما شاء الله.

٤ ـ عدم قبول المعذرة يوم القيامة.

٥ ـ عدم استجابة الدعاء في النار.

٦ ـ بيان وعد الله لرسله والمؤمنين وهو أنه ينصرهم بأحد أمرين الأول أن ينصر دينهم ويظهره ويقرره وإن طال الزمن، والثاني أن يهلك عدوهم وينجيهم.

---

(١) أي تولوا أنتم أمر أنفسكم وادعوا والأمر هنا للتسوية أي سواء دعوتم أو تركتم لا يستجاب لكم.

(٢) هذه الآية والتي بعدها جاءتا كالنتيجة لكل ما سبق في السورة من قوله تعالى ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾ فكل ذلك لتلك المواقف والمشاهد في الدنيا والآخرة عبرتها المستخلصة منها هي هذه ﴿إنا لننصر رسلنا﴾ الآية وهي تسلية للرسول ﷺ وبشرى له ولأتباعه المؤمنين.

(٣) الأشهاد: الملائكة والرسل ومؤمنو هذه الأمة.

(٤) هذه الجملة بدل من جملة ويوم يقوم الأشهاد والظالمون هم المشركون.

(٥) تقديم الجار والمجرور «لهم» في الجملتين: لهم اللعنة ولهم سوء الدار للاهتمام بالانتقام منهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

شـرح الكلمـات :

ولقد آتينا موسى الهدى : أي أعطينا موسى بني إسرائيل المعجزات والتوراة.

وأورثنا بني إسرائيل : أي أبقينا فيهم التوراة كتاب الهداية الإلهية يهتدون به في ظلمات الحياة ويذكرون به الله في تراكم النسيان.

واصبر إن وعد الله حق : أي واصبر يامحمد على ما تلاقي من قومك إن وعد الله بنصرك حق.

واستغفر لذنبك : ليقتدي بك في ذلك ولزيادة طهارة لروحك وتزكية لنفسك.

وسبح بحمد ربك : أي نزه ربك وقدسهُ بالصلاة والذكر والتسبيح فيها وخارجها.

بالعشي والإبكار : بالمساء وأول النهار أي في أوقات الصلوات الخمس كلها.

إن في صدورهم إلا كبر : أي ما في صدورهم إلا كبر حملهم على الجدال في الحق، لا أن لهم علماً يجادلون به، وإنما حبهم العلو والغلبة حملهم على ذلك.

فاستعذ بالله : أي استعذ من شرهم بالله السميع لأقوالهم العليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم.

لخلق السموات والأرض: أي لخلق السموات والأرض ابتداء ولأول مرة.
أكبر من خلق الناس : أي أعظم من خلق الناس مرة أخرى بعد الأولى.

معنى الآيات :

قوله تعالى ولقد آتينا موسى[1] الهدى الآية شروع في تسلية الرسول ﷺ عما يلاقي من قومه فأعلمه تعالى أنه قد سبق أن أرسل موسى وآتاه الكتاب الذي هو التوراة وأورثه في بني إسرائيل هدى أي هاديا لهم في ظلمات الحياة إلى الحق والدين الصحيح الذي هو الإسلام وذكرى لأولى الألباب أي يذكر به أولوا العقول، ولا قى موسى من قومه أشد مما لاقيت إذاً فاصبر على ما تعانيه من قريش وأن العاقبة لك فإن وعد الله حق وقد قال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد أي يوم القيامة.

وقـولـه: ﴿واستغفر لذنبك[2] وسبح بحمد ربك بالعشي[3] والإبكار﴾ أرشده إلى مقومات الصبر والموفرات له وهي ذكر الله تعالى بالاستغفار والدعاء والصلاة والتسبيح فيها وخارجها. فأعظم عون على الصبر الصلاة فلذا كان ﷺ إذا حز به أمر فَزِعَ إلى الصلاة وقوله ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان﴾ أي حجة من علم إلهي أتاهم بطريق الوحي إن في صدورهم أي ما في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه أي لا يصلون إليه بحال وهو الرئاسة عليك والتحكم فيك وفي أصحابك. وعليه فاستعذ بالله من[4] شرهم ومن مكرهم إنه تعالى هو السميع لأقوالهم البصير بأحوالهم وأعمالهم، وسوف لا يمكن لهم منك أبداً لقدرته وعلمه وعجزهم وجهلهم.

وقوله تعالى: ﴿لخلق السموات[5] والأرض﴾ هذا رد على منكري البعث والجزاء الآخر فلما قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاماً أئنا لمبعوثون.. قال تعالى: وعزتنا وجلالنا لخلق السموات والأرض ابتداء من غير مثال سابق ولا مادة قائمة موجودة أكبر من خلق الناس مرة أخرى بعد خلقهم

---

(١) الهدى الذي أوتيه موسى هو ما أوحي إليه من الأمر بالدعوة إلى الدين الحق، وما أنزل عليه من الشريعة والكتاب الذي هو التوراة.

(٢) ذكر القرطبي عدة أقوال للسلف في الذنب المطلوب من الرسول ﷺ الاستغفار منه قيل ذنبه ﷺ الذي كان قبل البعثة والعصمة، وقيل ذنب أمته، وقيل الصغائر ومخالفة الأول وقيل المراد هو تعبد الله رسوله بالدعاء إذ الاستغفار دعاء بطلب المغفرة وهو وجه وأوجه منه إرشاد الآية إلى الاستغفار.

(٣) هما صلاة الصبح وصلاة العصر ومعنى بحمد ربك أي بالشكر له والثناء عليه.

(٤) جملة إنه هو السميع العليم تعليلية، ومفعول المستعاذ منه في قوله فاستعذ بالله محذوف لعرض التعميم في كل ما يخاف منه.

(٥) اللام في جواب قسم محذوف كما في التفسير، وخلق السموات والأرض شامل لكل ما فيهما من مخلوقات وعقيدة البعث الآخر من جملة ما يجادل فيه الذين كفروا.

المرة الأولى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون[1] هذه الحقائق العلمية لجهلهم وبعدهم عن العقليات لما عليهم من طابع البداوة وإلا فإعادة الشيء أهون من بدئه عقلا فليس الاختراع كالاصلاح للمخترع إذا فسد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان منة الله تعالى على موسى وبني إسرائيل تتكرر لمحمد ﷺ وأمته بإنزال الكتاب وتوريثه فيهم هدى وذكرى لأولي الألباب.

٢ ـ وجوب الصبر والتحمل في ذات الله، والاستعانة على ذلك بالاستغفار والذكر والصلاة.

٣ ـ أكثر من يجادل بالباطل ليزيل به الحق إنما يجادل من كبر يريد الوصول إليه وهو التعالي والغلبة والقهر للآخرين.

٤ ـ تقرير عقيدة البعث بالبرهان العقلي، وهو أن البدء أصعب من الإعادة ومن أبدأ أعاد ، ولا نصب ولا تعب!!

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ

---

(١) لا يعلمون لانشغالهم بالباطل عن الحق فتركو التفكر والتأمل لذا هم لا يعلمون أن الذي خلق السموات والأرض قادر عقلاً على خلق الناس بعد إماتته إياهم وبعثهم أحياء كما خلقهم أول مرة.

ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ



شـرح الكلمـات :

وما يستوي الأعمى والبصير : لا يستويان فكذلك الكافر والمؤمن لايستويان.

والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء : لايستويان أيضا فكذلك لايستوى الموقن والشاك

قليلاً ما تتذكرون : أي ما يتذكرون إلا تذكرا قليلاً والتذكر الاتعاظ.

إن الساعة لآتية : أي إن ساعة نهاية هذه الحياة وإقبال الأخرى جائية لا شك فيها.

إن الذين يستكبرون عن عبادتي : أي عن دعائي.

سيدخلون جهنم داخرين : أي صاغرين ذليلين.

لتسكنوا فيه : أي لتنقطعوا عن الحركة فتستريحوا.

والنهار مبصراً : أي مضيئا لتتمكنوا فيه من الحركة والعمل.

ولكن أكثر الناس لا يشكرون : أي الله تعالى بحمده والثناء عليه وطاعته.

ذلكم الله ربكم : أي ذلكم الذي أمركم بدعائه ووعدكم بالاستجابة الذي جعل لكم الليل والنهار وأنعم عليكم بجلائل النعم الله ربكم الذي لا إله لكم غيره ولا رب لكم سواه.

فأنى تؤفكون : أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم وإلهكم الحق إلى أوثان وأصنام لا تسمع ولا تبصر.

كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون : أي كما صرف أولئك عن الإيمان والتوحيد يصرف الذين يجحدون بآيات الله يصرفون عن الحق.

معنى الآيات :

مازال السياق في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد، فقوله تعالى ﴿وما يستوي﴾[1] أي في حكم

(١) وما يستوى الأعمى والبصير أي الكافر والمؤمن والضال والمهتدي.

العقلاء ﴿الأعمى﴾ الذي لايبصر شيئاً والبصير الذي يبصر كل شيء يقع عليه بصره فكذلك لا يستوي المؤمن السميع المبصر، والكافر الأعمى عن الدلائل والبراهين فلا يرى منها شيئاً الأصم الذي لا يسمع نداء الحق والخير، ولا كلمات الهدى والرشاد. كما لا يستوي في حكم العقلاء المحسن المؤمن العامل للصالحات، والمسيء الكافر والعامل للسيئات، وإذا كان الأمر كما قررنا فلم لا يتعظ القوم به ولا يتوبون إنهم لظلمة نفوسهم ﴿قليلاً ما يتذكرون﴾[1] أي لا يتعظون إلا نادراً.

وقوله تعالى: ﴿إن الساعة لآتية﴾[2] يخبر تعالى أن الساعة التي كذب بها المكذبون ليستمروا على الباطل والشر فعلا واعتقاداً لآتية حتماً، ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بها لوجود صارف قوي وهو عدم تذكرهم، وانكبابهم على قضاء شهواتهم.

وقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني[3] استجب لكم﴾. إنه لما قرر ربوبيته تعالى وأصبح لا محالة من الاعتراف بها قال لهم: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ أي سلوني أعطكم وأطيعوني أثبكم فأنتم عبادي وأنا ربكم. ثم قال لهم: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ ودعائي فلا يعبدونني ولا يدعونني سوف أذلهم وأهينهم وأعذبهم جزاء استكبارهم وكفرهم وهو معنى قوله: ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ أو صاغرين ذليلين يعذبون بها أبداً.

وفي الآية (٦١) عرّفهم تعالى بنفسه ليعرفوه فيؤمنوا به ويعبدوه ويوحدوه، ويكفروا بما سواه من مخلوقاته فقال: ﴿الله الذي جعل[4] لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ أي جعله مظلما لتنقطعوا فيه عن الحركة والعمل فتستريحوا ﴿والنهار مبصراً﴾ أي وجعل لكم النهار مبصراً اي مضيئاً يمكنكم التحرك فيه والعمل والتصرف في قضاء حاجاتكم، وليس هذا من إفضال الله عليكم بل إفضاله وإنعامه أكثر من أن يذكر وقرر ذلك بقوله: ﴿وإن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ الله على إفضاله وإنعامه عليهم فلا يعترفون بإنعامه ولايحمدونه

---

(١) قرأ نافع قليلا ما يتذكرون بالياء وقرأ حفص تتذكرون بالتاء ولكل وجه بلا غي وكأن تذكرهم قليلا لعدم علمهم فهم كالأموات لجهلهم فهم لا يتذكرون وإن تذكروا قليلا ينقطعون فلا يحصل المراد من التذكر.

(٢) المراد بالساعة ساعة البعث والقيام من القبور. إنه بعد ذكر الأدلة المقررة للبعث كان هذا إعلانا عن تحقق مجيئها وتأكيد الخبر بإن ولام الابتداء لزيادة التحقيق والمراد تحقق وقوعها لا الإخبار عن وقوعها.

(٣) روى الترمذي عن النعمان بن بشير وصححه أن النبي ﷺ قال الدعاء هو العبادة. ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ وروي ان النبي ﷺ قال: يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله.

(٤) (جعل) إن كانت بمعنى خلق تعدت إلى مفعول واحد كما هي هنا وإن كانت بمعنى صير تنصب مفعولين نحو جعلت الثوب سروالاً.

بألسنتهم ولا يطيعـونه بجوارحهم، وذلك لاستيلاء الشيطان والغفلة عليهم ثم واصل تعريف نفسه لهم ليؤمنوا به بعد معرفته ويكفروا بالآلهة العمياء الصماء التي هم عاكفون عليها صباح مساء فقال جل من قائل: ﴿ذلكم الله ربكم﴾ [1] الذي عرفكم بنفسه ﴿خالق كل شيء لا إله إلا هو﴾ أي لا معبـود بحق إلا هو. وقـوله: ﴿فأنى [2] تؤفكون﴾ أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم والمنعم عليكم، إلى أوثان وأصنام لا تنفعكم ولا تضركم. فسبحان الله كيف تؤفكون كذلك يؤفك أي كانصرافكم أنتم عن الإيمان والتوحيد مع وفرة الأدلة وقوة الحجج يصرف أيضاً الذين كانوا بآيات الله يجحدون في كل زمان ومكان لأن الآيات الإلهية حجج وبراهين فالمكذب بها سيكذب بكل شيء حتى بنفسه والعياذ بالله تعالى.

هداية الايات

من هداية الآيات :

١ ـ بيان حقيقـة وهي أن الضِّدين لايجتمعان فالكفر والإيمان، والاحسان والإساءة والعمى والبصر والصمم والسمع هذه كلها لا تستوي بعضها ببعض فمحاولة الجمع بينها محاولة باطلة ولا تنبغي.

٢ ـ قرب الساعة مع تحتم مجيئها والأدلة على ذلك العقلية والنقلية كثيرة جداً.

٣ ـ فضل الدعاء وقد ورد أن النبي ﷺ قال ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع [3] نعله. وللدعاء المستجاب شروط منها: أن يكون القلب متعلقا بالله معرضا عما سواه وأن لايسأل ما فيه إثم، ولا يعتدي في الدعاء فيسأل ما لم تجر سنة الله به كأن يسأل أن يري الجنة يقظة أو أن يعود شاباً وهو شيخ كبيرا أو أن يرزق الولد وهو لا يتزوج.

٤ ـ الدعاء [4] هو العبادة ولذا من دعا غير الله فقد أشرك بالله.

٥ ـ بيان إنعام الله وإفضاله والمطالبة بشكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وبطاعته بفعل محابه وترك مكارهه.

---

(١) الإشارة إلى اسم الجلالة في قوله ﴿الله الذي جعل لكم﴾ الخ.

(٢) أنى اسم استفهام عن الكيفية وأصله استفهام عن المكان ثم نقل إلى الحالة.

(٣) تقدم تخريجه وانه من سنن الترمذي وانه صحيح الإسناد وشسع النعل: زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها يضرب به المثل في الفاقة يقال لا يملك شسع نعل.

(٤) روي بإسناد لا بأس به من لم يسأل الله يغضب عليه ومن لَم يدع الله غضب عليه أيضاً حسنهما ابن كثير في تفسيره.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

شـــرح الكلمـات:

قراراً : أي قارة بكم لا تتحرك فيفسد ما عليها من إنشاء وتعمير.

بنـــاء : أي محكمـة إحكام البناء فلا تسقط عليكم ولا يسقط منها شيء يؤذيكم.

وصوركم : أي في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم.

من الطيبات : أي الحلال المستلذ غير المستقذر وهي كثيرة.

فتبارك الله : أي تعاظم وكثرت بركاته.

فادعوه مخلصين له الدين : أي أعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا في عباداته دعاء كان أو غيره.

قل إني نهيت : أي نهاني ربي أن أعبد الأوثان التي تعبدون.
وأمرت أن أسلم لرب العالمين : أي وأمرني ربي أن أسلم له وجهي وأخلص له عملي.
هو الذي خلقكم من تراب : أي خلق أبانا آدم من تراب وخلقنا نحن ذريته مما ذكر من نطفة ثم من علقة.
ثم لتبلغوا أشدكم : أي كمال أجسامكم وعقولكم في سن ما فوق الثلاثين.
ومنكم من يتوفى من قبل : أي ومنكم من يتوفاه ربه قبل سن الشيخوخة والهرم.
ولتبلغوا أجلاً مسمى : أي فعل ذلك بكم لتعيشوا ولتبلغوا أجلامسمى وهو نهاية العمر المحددة لكل إنسان.
ولعلكم تعقلون : أي طوركم هذه الأطوار من نطفة إلى علقة إلى طفل إلى شاب إلى كهل إلى شيخ رجاء أن تعقلوا دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته فتؤمنوا به وتعبدوه موحدين له فتكملوا وتسعدوا.
يحيي ويميت[1] : أي يخلق الإنسان وقد كان عدماً، ويميته عند نهاية أجله.
فإذا قضى أمراً : أي حكم بوجوده.
فإنما يقول له كن فيكون : أي فهو لا يحتاج إلى وسائط وإنما هي الإرادة فقط فإذا أراد شيئاً قال له كن فهو يكون.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تعريف العباد بربهم سبحانه وتعالى حتى يؤمنوا به ويعبدوه ويوحدوه إذ كمالهم وسعادتهم في الدارين متوقفان على ذلك قال تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً أي[2] قارة في مكانها ثابتة في مركز دائرتها لا تتحرك بكم ولا تتحول عليكم فتضطرب حياتكم فتهلكوا، وجعل السماء بناء مُحْكماً وسقفا محفوظا من التصدع والانفطار والسقوط كلاًّ أو بعضاً، وصوركم في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم[3] ورزقكم من الطيبات التي خلقها لكم وهي كل ما لذ وطاب من حلال الطعام والشراب واللباس والمراكب ذلكم الفاعل

---

(١) في قوله يحيي ويميت المحسن البديعي المسمى بالطباق.

(٢) القرار مصدر قر إذا سكن وهو هنا من صفات الأرض لأنه خبر عن الأرض والمعنى انه جعلها قارة «ساكنة» غير مائدة ولا مضطربة إذ لو لم تكن قارة لكان الناس في عناء شديد من اضطرابها وتزلزلها، وقد يفضي ذلك بأكثر الناس إلى الهلاك وهذا في معنى قوله: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ ومن مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ان تدور الأرض في فلكها دورة منتظمة بدقة فائقة فلا تخرج عن مدارها مقدار شبر بل إصبع فسكنت وقرت وهي متحركة فسبحان الله العلي العظيم.

(٣) فأحسن صوركم الفاء للعطف والتعقيب ورزقكم فهاتان نعمتان عظيمتان نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد.

لكل ذلك الله ربكم الذي لا رب لكم سواه ولا معبود بحق لكم غيره. فتبارك الله رب العالمين أي خالق الانس والجن ومالكهما والمدبر لأمرهما، هو الحي الذي لا يموت والانس والجن يموتون لا إله أي لا معبود للعالمين إلا هو فادعوه مخلصين له الدين أي اعبدوه وحده ولا تشركوا بعبادته أحداً قائلين الحمد لله رب العالمين[1] أي حامدين له بذلك، هذا ما تضمنته الآيتان (٦٤, ٦٥) وقوله تعالى: ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ أي قل يانبينا لقومك إني نهاني ربي أن أعبد الذين تدعون من دون الله من أصنام وأوثان لا تنفع ولا تضر وذلك لما[2] جاءني البينات من ربي وهي الحجج والبراهين على بطلان عبادة غير الله ووجوب عبادته سبحانه وتعالى، وأمرت أن أسلم لرب العالمين أي وأمرني ربي أن أسلم له فأنقاد وأخضع لأمره ونهيه وأطرح بين يديه وأفوض أمري إليه وقوله: ﴿هو الذي خلقكم من تراب نظراً إلى أصلهم وهو آدم، ثم من نطفة مني ثم من علقة دم متجمد، ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً، ثم لتبلغوا أشدكم أي اكتمال أبدانكم وعقولكم بتخطيكم الثلاثين من أعماركم، ثم لتكونوا شيوخاً بتجاوزكم[3] الستين. ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله قبل بلوغه سن الشيخوخة والهرم وما أكثرهم، وفعل بكم ذلك لتعيشوا ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون إذا تفكرتم في خلق الله لكم على هذه الأطوار فتعرفوا أن ربكم واحد وأنه إلهكم الحق الذي لا إله لكم سواه.

وقوله هو الذي يحيي ويميت يحيي النطف الميتة فإذا هي بعد أطوارها بشراً أحياء ويميت الأحياء عند نهاية آجالهم وهو حي لا يموت والإنس والجن يموتون ومن أعظم مظاهر قدرته أنه يقول للشيء إذا أراده كن فيكون ولا يتخلف أبداً هذا هو الله رب العالمين وإله الأولين والآخرين وَجَبَتْ محبته وطاعته ولزمت معرفته إذ بها يُحَبُّ ويعبد ويطاع.

---

(١) إنشاء الثناء على الله تعالى بعد ذكر موجبات ذلك من نعمة الإيجاد والإمداد والهداية إلى الدين الحق بعبادة الله وحده كما هي السنة في تعقيب الحمد والثناء على الله تعالى بعد كل نعمة ينعم بها على عباده.

(٢) لما هذه يقال فيها التوقيتية أي حصل نهيٌ عن عبادة غير ربي في الوقت الذي جاءتني البينات وفي الآية تعريض بالمشركين إذ لم ينتهوا عن عبادة غير الله وقد جاءتهم البينات من ربهم.

(٣) سن الشيخوخة هو ما بين الخمسين إلى الثمانين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق والإيجاد والإرزاق والإحياء والإماتة وكلها معرفة به تعالى وموجبة له العبادة والمحبة والإنابة والرغبة والرهبة ونافية لها عما سواه من سائر خلقه.

٢ - تقرير التوحيد ووجوب عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

٣ - بيان خلق الإنسان وأطوار حياته وهي من الآيات الكونية الموجبة للإيمان بالله وتوحيده في عبادته إذ هو الخالق الرازق المحيي المميت لا إله غيره ولا رب سواه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦)

شرح الكلمات :

يجادلون في آيات الله : أي في القرآن وما حواه من حجج وبراهين دالة على الحق هادية إليه.

أنى يصرفون : أي كيف يصرفون عن الحق مع وضوح الأدلة وقوة البراهين.

الذين كذبوا بالكتاب : أي بالقرآن

و بما أرسلنا به رسلنا : من وجوب الاسلام لله بعبادته وحده وطاعته في أمره ونهيه والإيمان بلقائه.

فسوف يعلمون : أي عقوبة تكذيبهم.

إذ الأغلال في أعناقهم : أي وقت وجود الأغلال في أعناقهم يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم.

ثم في النار يسجرون : أي يوقدون

ثم يقال لهم أين ما كنتم : أي يسألون هذا السؤال تبكيتاً لهم وخزياً.

تشركون من دون الله : أي تعبدونهم مع الله.

قالوا ضلوا عنا : أي غابوا عنا فلم نرهم.

بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً : أي انكروا عبادة الأصنام، أوْ لَمْ يعتبروا عبادتها شيئاً وهو كذلك.

كذلك يضل الله الكافرين : أي مثل اضلال هؤلاء المكذبين يضل الله الكافرين.

بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق : أي بالشرك والمعاصي.

وبما كنتم تمرحون : أي بالتوسع في الفرح، لأن المرح شدة الفرح.

فبئس مثوى المتكبرين : أي دخول جهنم والخلود فيها بئس ذلك مأوى للمتكبرين.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد وإلى الإيمان بالبعث والجزاء، وتقرير نبوة محمد ﷺ فقوله تعالى ﴿الم تر﴾ أي يا محمد ﴿إلى الذين يجادلون في[1] آيات الله﴾ القرآنية لإبطالها وصرف الناس عن قبولها أوحملهم على إنكارها وتكذيبها والتكذيب بها وهذا تعجيب من حالهم. وقوله تعالى: ﴿أنى يصرفون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته . وقوله ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ الذي هو القرآن ﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾ من التوحيد والإيمان ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة تكذيبهم وقت ما تكون الأغلال[2] في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم يسحبون أي تسحبهم الزبانية في الحميم

---

(١) وقيل هذه الآية نزلت في القدرية نفاة القدر وقيل في المشركين والعبرة بعموم اللفظ فهي عامة في المشركين والمكذبين المجادلين في آيات الله وأحاديث رسوله ﷺ لصرفها عن مراد الله إحقاقاً لباطلهم وإثباتاً لمذهبهم الفاسد.

(٢) الأغلال جمع غل بضم الغين: حلقة من قد «جلد» أو حديد محيط بالعنق. سئل ابن عرفة هل يجوز أن يقاد اليوم الأسير والجاني بالغل في عنقه؟ قال لا يجوز وإنما يقاد الجاني من يده لنهي رسول الله ﷺ عن الإحراق بالنار وقال إنما يعذب بالنار رب النار.

هو ماء حار تناهى في الحرارة ثم في النار يسجرون[1] أي توقد بهم النار كما توقد بالحطب، هذا عذاب جسماني ووراءه عذاب روحاني إذ تقول لهم الملائكة توبيخا وتبكيتاً وتأنيبا وتقريعاً: ﴿أين[2] ما كنتم تشركون﴾ أي أين أوثانكم التي كنتم تعبدونها مع الله؟ فيقولون: ضلوا عنا أي غابوا فلم نرهم، بل ما كنا ندعو من قبل شيئاً هذا إنكار منهم حملهم عليه الخوف أو هو بحسب الواقع أنهم ما كانوا يعبدون شيئا إذ عبادة الأصنام ليست شيئاً لبطلانها.

وقوله ﴿ذلك بما كنتم تفرحون[3] في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ أي حل بكم هذا العذاب بسبب فرحكم بالباطل من شرك وتكذيب وفسق وفجور، في الدنيا، وبسبب مرحكم أيضا وهو أشد الفرح وأخيراً يقال لهم ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ باباً بعد باب وهي أبواب الدركات ﴿خالدين[4] فيها﴾ لا تموتون ولا تخرجون ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ أي ساء وقبح مثواكم في جهنم من مثوى أي مأوى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - التعجيب من حال المكذبين بآيات الله المجادلين فيها كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح أدلته وقوة براهينه.

٢ - إبراز صورة واضحة للمكذبين بالآيات المجادلين لإبطال الحق وهم في جهنم يقاسون العذاب بعد أن وضعت الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون.

٣ - ذم الفرح بغير فضل الله ورحمته، وذم المرح وهو أشد الفرح.

٤ - ذم التكبر وسوء عاقبة المتكبرين الذين يمنعهم الكبر من الاعتراف بالحق ويحملهم على احتقار الناس وازدراء الضعفاء منهم.

---

(١) قال مجاهد يطرحون في النار فيكونون وقوداً لها: يقال سجرت التنور أي أوقدته وسجرته ملأته ايضا ومنه والبحر المسجور أي المملوء. وشاهد آخر في قوله تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾.

(٢) الاستفهام بأين يكون عن المكان وأريد به هنا التنبيه على الغلط والفضيحة في الموقف.

(٣) ما مصدرية في الموضعين والتقدير أي ذلكم العذاب الذي وقعتم فيه مسبب على فرحكم ومرحكم الذين كانا لكم في الدينا إذ الأرض المراد بها الدنيا.

(٤) خالدين حال مقدرة أي مقدر خلودكم فيها و﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ متفرع على الخلود والمخصوص بالذم محذوف تقديره جهنم.

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِىَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

فاصبر إن وعد الله حق : أي فاصبر يارسولنا على دعوتهم متحملا أذاهم فإن وعد ربك بنصرك حق.

فإما نرينَّك بعض الذي نعدهم : أي من العذاب في حياتك.

منهم من قصصنا عليك : أي ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم وهم خمسة وعشرون.

أن يأتي بآية إلا بإذن الله : أي لأنهم عبيد مربوبون لايفعلون إلا ما يأذن لهم به سيدهم.

وخسر هنالك المبطلون : أي هلك أهل الباطل بعذاب الله فخسروا كل شيء.

جعل لكم الأنعام : أي الإبل وإن كان لفظ الأنعام يشمل البقر والغنم أيضاً.

ولكم فيها منافع : أي من اللبن والنسل والوبر.

ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم : أي حمل الأثقال وحمل أنفسكم من بلد إلى بلد، لأنها كسفن البحر.

فأي آيات الله تنكرون	: أي فأي آية من تلك الآيات تنكرون فإنها لظهورها لا تقبل الانكار.

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة الإلهية للمشركين إلى الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء والتي تلوَّن فيها الأسلوب وتنوعت فيها العبارات والمعاني، والمشركون يزدادون عتواً قال تعالى لرسوله آمراً إياه بالصبر[1] على الاستمرار على دعوته متحملاً الأذى في سبيلها ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ فيخبره بأن ما وعده به ربُّه حق وهو نصره عليهم وإظهار دعوة الحق ولو كره المشركون. وقوله ﴿فإما نرينك[2] بعض الذي نعدهم﴾ أي من العذاب الدنيوي ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك ﴿فإلينا يرجعون﴾ فنعذبهم بأشد أنواع العذاب في جهنم، وننعم عليك بجوارنا في دار الإنعام والتكريم أنت والمؤمنون معك. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧٧) وقوله تعالى في الآية الثانية (٧٨) ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك﴾ يخبر تعالى رسوله مؤكداً له الخبر مسلياً له حاملا له على الصبر بأنه أرسل من قبله رسلا كثيرين منهم من قص خبرهم عليه ومنهم من لم يقصص[3] وهم كثير وذلك بحسب الفائدة من القصص وعدمها وأنه لم يكن لأحدهم أن يأتي بآية كما طالب بذلك قومه، والمراد من الآية المعجزة الخارقة للعادة، إلا بإذن الله، إذ هو الوهاب لما يشاء لمن يشاء، فإذا جاء أمر الله بإهلاك المطالبين بالآيات تحدياً وعناداً ومكابرة قضى بالحق أي حكم الله تعالى بين الرسول وقومه المكذبين له المطالبين بالعذاب تحدياً، فَنَجىَّ رسوله والمؤمنين وخسر هنالك المبطلون من أهل الشرك والتكذيب.

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧٩) الله الذي جعل لكم الأنعام يعرفهم تعالى بنفسه مقرراً ربوبيته الموجبة لألوهيته فيقول الله أي المعبود بحق هو الذي جعل لكم الأنعام على وضعها الحالي الذي ترون لتركبوا منها[4] وهي الإبل، ومنها تأكلون ومن بعضها تأكلون كالبقر والغنم ولا تركبون، ولكن فيها منافع وهي الدَّرُّ والوبر والصوف والشعر والجلود ولتبلغوا عليها حاجة في

(١) أمره تعالى رسوله بالصبر في الآية هو تسلية له ﷺ إذ أخبره انه ينتقم له من اعدائه في حياته أو في الآخرة وهذا كان لاستبطاء النبي ﷺ والمؤمنين النصر.

(٢) فأما أصلها فإن حرف شرط قرنت بما الزائدة للتأكيد ولذا الحقت نون التوكيد بفعل الشرط وعطف عليه أو نتوفينك وهو فعل شرط ثانٍ.

(٣) قال ابن كثير وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف وهو كذلك إذ لم يذكر في القرآن إلا خمسة وعشرون نبياً ورسولاً.

(٤) اللام متعلقة بجعل لكم الأنعام ومن في الموضعين للتبعيض أي تركبون من بعضها وتأكلون من بعضها.

صدوركم وهي حمل أثقالكم والوصول بها إلى أماكن بعيدة لا يتأتى لكم الوصول إليها بدون الإبل سفائن البر، وقوله وعليها أي على الإبل وعلى الفلك «السفن» تحملون أي يحملكم الله تعالى حسب تسخيرها لكم.

وأخيراً يقول تعالى بعد عرض هذه الآيات القرآنية والكونية يقول لكم ﴿ويريكم آياته﴾ في أنفسكم وفي الآفـاق حولكم ﴿فأي آيات[1] الله تنكرون﴾ وكلها واضحة في غاية الظهور والبيان والاستفهام للإنكار عليهم علّهم يرعوون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب الصبر على دعوة الحق والعمل في ذلك إلى أن يحكم الله تعالى.

٢ ـ الآيات لا تعطي لأحد إلا بإذن الله تعالى إذ هو المعطي لها فهي تابعة لمشيئته.

٣ ـ من الرسل من لم يقصص الله تعالى أخبارهم، ومنهم من قص وهم خمسة[2] وعشرون نبياً ورسولاً. وعدم القص لأخبارهم لا ينافي بيان عددهم إجمالاً لحديث أبي ذر في مسند أحمد أن أبا ذر رضي الله عنه قال قلت يارسول الله كم عِدّة الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشرة جماً غفيراً.

٤ ـ ذكر مِنّة الله على الناس في جعل الأنعام صالحة للانتفاع بها أكلاً وركوباً لبعضها لعلهم يشكرون بالإيمان والطاعة والتوحيد.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

---

(١) اسم استفهام يطلب به تمييز شيء عن مشاركة في ما يضاف إليه أي وهو مستعمل هنا في إنكار أن يكون شيء من آيات الله يمكن أن ينكر دون غيره من الآيات فأفاد أنْ جميع الآيات صالحة للدلالة على وجود الله ووحدانيته في ألوهيته.

(٢) جمع بعضهم من ذكروا في القرآن من الآيات الآتية فقال

حتم على كل ذي التكليف معرفة ... بأنبياء على التفصيل قد علموا
في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

الرسل المجمع على أنهم رسل خمسة عشر وهم: نوح، ابراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، هود، صالح، شعيب، موسى، هارون، عيسى يونس، محمد ﷺ والمختلف في رسالتهم بعد الإجماع على نبوتهم باقي الخمسة والعشرين واختلف في نبوة لقمان وذي القرنين والخضر ومريم عليهم السلام.

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

شــرح الكلمـات :

أفلم يسيروا في الأرض : أي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض شمالاً وجنوبا وغربا.

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم : أي عاقبة المكذبين من قبلهم قوم عاد وثمود وأصحاب مدين.

وآثاراً في الأرض : أي وأكثر تأثيراً في الأرض من حيث الإنشاء والتعمير.

فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون: أي لم يمنع العذاب عنهم كسبهم الطائل وقوتهم المادية

فرحوا بما عندهم من العلم : أي فرح الكافرون بما عندهم من العلم الذي هو الجهل بعينه.

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا : أي عذابنا الشديد النازل بهم.

معنى الآيات:

مازال السياق في طلب هداية قريش بما يذكرهم به وما يعرض عليهم من صور حية لمن كذب ولمن آمن لعلهم يهتدون قال تعالى ﴿أفلم[1] يسيروا في الأرض﴾ أي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض أرض الجزيرة شمالاً ليروا آثار ثمود في مدائنها وجنوبا ليروا آثار عاد، وغربا ليرو آثار أصحاب الأيكة قوم شعيب والمؤتفكات قرى قوم لوط: فينظروا نظر تفكر واعتبار كيف كان عاقبة الذين من قبلهم. كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض من مصانع وقصور وحدائق وجنات فما أغنى عنهم لما جاءهم العذاب ما كانوا يكسبونه من مال ورجال وقوة مادية.

---

(١) الفاء للتفريع وهمزة الاستفهام داخلة على محذوف أي أعجزوا فلم يسيروا والاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم النظر في آثار الهالكين ليحصلوا على العبرة المطلوبة لهم ليؤمنوا ويوحدوا فينجوا من العذاب.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨٢) أما الآية الثانية (٨٣) فهي قوله تعالى ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ يخبر تعالى عن المكذبين الهالكين أنهم لما جاءتهم رسلهم بالحجج والأدلة الظاهرة على توحيد الله والبعث والجزاء وصدقهم في النبوة والرسالة ﴿فرحوا بما عندهم[1] من العلم﴾ المادي وسخروا من العلم الروحي واستهزأوا بأهله فرحاً ومرحاً، ﴿وحاق بهم﴾ أي أحاط بهم العذاب الذي كان نتيجة كفرهم وتكذيبهم واستهزائهم، فلما رأوا عذاب الله الشديد وقد حاق بهم أعلنوا عن توبتهم ﴿فقالوا آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كُنّا به مشركين﴾ أي قالوا لاإله إلا الله. قال تعالى ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ أي شديد عذابنا ﴿سنّة[2] الله التي قد خلت في عباده﴾ وأخبر تعالى أن هذه سنة من سننه في خلقه وهي أن الايمان لا ينفع عند معاينة العذاب إذ لو كان يقبل الإيمان عند رؤية العذاب وحلوله لما كفر كافر ولما دخل النا رأحد. وقول ﴿وخسر[3] هنالك﴾ أي عند رؤية العذاب وحلوله ﴿الكافرون﴾ أي المكذبون المستهزئون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات

١ - مشروعية السير في البلاد للعظة والاعتبار تقوية للإيمان.

٢ - القوى المادية لا تغني عن أصحابها شيئاً إذا أرادهم الله بسوء.

٣ - بيان سنة بشرية وهي أن الماديين يغترون بمعارفهم المادية ليستغنوا بها عن العلوم الروحية في نظرهم إلا أنها لا تغني عنهم شيئاً عند حلول العذاب بهم في الدنيا وفي الآخرة.

(١) قال القرطبي فرحوا بما عندهم من العلم في معناه ثلاثة أقوال قال مجاهد إن الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا نحن أعلم منهم ولن نعذب ولن نبعث، وقيل فرحوا بما عندهم من علم الدنيا نحو يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وقيل الذين فرحوا الرسل بما عندهم من العلم بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.

(٢) سنة مصدر سنّ يسن سناً وسنه أي سن الله عز وجل في الكفار انه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب وجائز أن يكون سنة منصوب والإغراء والتحذير أي احذروا أيها المشركون سنة الله.

(٣) خسر هنالك هذه الجملة كالفذلكة لقوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وهنالك اسم إشارة إلى مكان استعير للإشارة إلى الزمان أي خسروا وقت رؤيتهم بأسنا.

سُورَةُ فُصِّلَتْ[1]

مكية
وآياتها أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

حـم : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا حـمٓ، ويقرأ هكذا حَا مِيم.

تنزيل من الرحمن الرحيم: أي من الله إذ هو الرحمن الرحيم.

فصلت آياته : أي بينت آياته غاية البيان بلسان عربي لقوم يعلمون إذ هم الذين ينتفعون.

بشيراً ونذيراً : أي مبشراً أهل الإيمان والعمل الصالح بالفوز، ومنذراً المكذبين الكافرين بالخسران.

فأعرض أكثرهم : أي أعرض عن سماع القرآن أكثر مشركي مكة وكفار قريش.

فهم لا يسمعون : أي سماع تعقل وتدبر لينتفعوا بما يسمعون.

في أكنـة : أي أغطية جمع كنان: ما فيه يكن الشيء ويستر.

---

(١) وتسمى سورة حـم السجدة وتسمى سورة المصابيح وسورة الأموات لذكر المصابيح والأموات والسجدة وفصلت فيها.

وفي آذاننا وقر : أي ثقل فلم نطق السمع.

ومن بيننا وبينك حجاب : أي مانع وفاصل بيننا فلا نسمع ما تقول ولا نرى ماتفعل.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿حَـمٓ﴾ هذا أحد الحروف المقطعة وتفسيره أن يقال فيه وفي أمثاله من الحروف المقطعة الله أعلم بمراده به. وقد ذكرنا ما أثرنا عن أهل العلم فائدتين هامتين لمثل هذه الحروف المقطعة في أول سورة غافر، وفي العديد من السور المفتتحة بهذه الحروف فليرجع إليها ولتعرف وتحفظ وقوله ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾[1] أي هو منزله على عبده ورسوله محمد ﷺ وليس كما يقول المبطلون. وقوله ﴿كتاب فصلت آياته﴾ أي هو كتاب فخم جليل القدر فصلت آيتـه أي بينت حال كون ذلـك التفصيل ﴿قـرآنـاً عربياً لقـوم يعلمـون﴾[2] لسـان العـرب ويفهمـون معـاني الكـلام وأسـراره. وقوله ﴿بشيراً ونذيراً﴾ وحال كونه أيضاً بشيراً لأهل الإيمان وصالح الأعمال بالفوز بالجنة والنجاة من النار؟ ونذيراً للمشركين المكذبين من عذاب النار، وقوله تعالى: ﴿فأعرض أكثرهم[3] فهم لا يسمعون﴾ يخبر تعالى أنه مع بيان الكتاب ووضوح ما جاء به ودعا إليه من التوحيد والخير أعرض أكثر كفار قريش عنه ولم يلتفتوا إليه فهم لا يسمعونه ولا يريدون سماعه بحال، وقالوا معتذرين بأقبح الأعذار: قلوبنا في أكنة أي أغطية تسترها من أجل أن لا نفهم ما تدعـونا إليه من التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء المقتضي لمتابعتك والسير وراءك، وفي آذاننا وقر أي ثقل فلا تقوى على سماع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب[4] ساتر وحائل لنا عنك فلا نسمع ما تقول ولا نرى ما تعمل فاتركنا كما تركناك، واعمل[5] على نصرة دينك فإننا عاملون كذلك على نصرة ديننا والحفاظ على معتقداتنا وهذه نهاية المفاصلة التي أبدتها قريش للرسول ﷺ.

---

(١) تنزيل مبتدأ وسوغ الابتداء به ما في التنكير من معنى التعظيم كأن قيل تنزيل عظيم ومن الرحمن الرحيم الخبر وكتاب بدل من تنزيل وفصلت صفة لكتاب.

(٢) في إعراب قرآناً عدة وجوه اظهرها ان النصب على الحال وجائز أن يكون على الاختصاص بالمدح.

(٣) فأعرض أكثر هؤلاء عما في القرآن من الهدي فلم يهتدوا ومن البشارة فلم يعنوا بها ومن النذارة فلم يحذروها فكانوا في أشد الحماقة إذ لم يُعنوا بالخير ولم يحذروا الشر فلم يأخذوا بالحيطة لأنفسهم.

(٤) روي أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوباً فقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه.

(٥) وقيل اعمل على هلاكنا فإنا عاملون على هلاكك وقيل غير هذا وما في التفسير أولى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تعيّن تعلم اللغة العربية على كل مسلم يريد أن يفهم[1] كلام الله القرآن العظيم.

٢ ـ اشتمال القرآن على أسلوب الترغيب والترهيب وهي البشارة والنِّذارة.

٣ ـ بيان شدة عداوة المشركين للتوحيد والداعين إليه في كل زمان ومكان.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾

شـــرح الكلمـات :

قل إنما أنا بشر مثلكم : أي لست ملكاً وإنما أنا بشر مثلكم من بني آدم.

يوحي إلي أنما الهكم إله واحد: أي يوحي الله إلي بأن الهكم أي معبودكم أيها الناس إله واحد لا ثاني له ولا أكثر.

فاستقيموا إليه : باخلاص العبادة له دون سواه.

واستغفروه : أي اطلبوا منه أن يغفر لكم ذنوبكم[2] التي كانت قبل الاستقامة وهي الشرك والمعاصي.

وويل للمشركين : أي عذاب شديد سيحل بهم لإغضابهم الرب بمضادته بآلهة باطلة.

---

(١) شاهده قول الأصوليين ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب وما دام لا يفهم الشرع إلا بلغة القرآن وجب تعلم هذه اللغة.

(٢) ذنوبكم التي قارفتموها من الشرك والمعاصي قبل التوبة التي هي الاستقامة على طاعة الله ورسوله ﷺ.

لا يؤتون الزكاة : أي زكاة أموالهم وزكاة أنفسهم بما يُطهرها من أوضار الشرك والمعاصي.
لهم أجر غير ممنون : أي ثواب الآخرة وهو الجنة ونعيمها لاينقطع بحال هو أجر غير ممنون.

معنى الآيات :

إنه بعد تلك المفاصلة التي قام بها المشركون حفاظا على الوثنية وجهل الجاهلية أمر تعالى رسوله أن يقول لهم إنما أنا بشر مثلكم في آدميتي لم أدّع يوما غيرها فلم أقل إني ملك، إلا أني أفضلكم بشيء وهو أنه يوحى إليَّ من قبل ربي، والموحي به إلي هو أنما الهكم الحق إله واحد لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته، وعليه فاخلعوا تلك الأوثان واستقيموا[1] إليه تعالى بإخلاص العبادة والوجوه إليه، واستغفروه من آثار الذنب السابق قبل الاستقامة على الإيمان والتوحيد وقوله تعالى: ﴿وويل للمشركين﴾ يخبر تعالى أن الويل وهو مُرُّ العذاب إذ من معاني الويل أنه صديد وقيح أهل النار وما يسيل من أبدانهم وفروجهم للمشركين بربهم الذين لا يؤتون[2] زكاة أموالهم، وهم بالآخرة هم كافرون أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء فلذاهم لا يتركون شراً ولا يفعلون خيراً إلاما قل وندر والنادر لا حكم له.

وقوله تعالى: إن الذين[3] آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنوا بالله وعده ووعيده وشرعه وعملوا الصالحات بأداء الفرائض والكثير من النوافل بعد تجنبهم الشرك والكبائر من الذنوب والمعاصي هؤلاء لهم أجر غير ممنون[4] مقابل إيمانهم وصالح أعمالهم، والأجر هو الثواب والمراد به الجنة إذ نعيمها لا ينقطع على من ناله وفاز به بحال من الأحوال.

هداية الآيات :

١ ـ تقرير النبوة والتوحيد.
٢ ـ وجوب الاستقامة على شرع الله.
٣ ـ وجوب الاستغفار من كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً.
٤ ـ وجوب الزكاة في الأموال، ووجوب تزكية النفوس بالإيمان وصالح الأعمال.

---

(١) استقيموا إليه أي وجهوا وجوهكم بالدعاء له والمسألة إليه كما يقال للرجل استقم إلى منزلك أي لا تعرج الى شيء غير القصد إليه.

(٢) قال ابن عباس لا تؤتون الزكاة أي لا يشهدون أن لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس لأن السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة وقال بعضهم إن قريشاً كانوا ينفقون النفقات ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك من آمن بمحمد ﷺ فنزلت هذه الآية.

(٣) الجملة مستأنفة استئنافا بيانياً نشأ عن الوعيد المتقدم فكأن سائلا يقول فإن اتعظ هؤلاء المشركون وتابوا من الشرك وترك المعاصي فما جزاؤهم؟ فالجواب أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون.

(٤) المن القطع ومن منّ صدقته فقد قطعها قال الشاعر:

لعمرك ما بابي بذي غلقٍ   على الصديق ولا خيري بممنون

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾

شرح الكلمات:

بالذي خلق الأرض في يومين : أي الأحد والاثنين.

وتجعلون له أنداداً : أي شركاء وهذا داخل في حيز الإنكار الشديد عليهم.

ذلك رب العالمين : أي الله مالك العالمين وهم كل ما سواه عز وجل من سائر الخلائق.

وجعل فيها رواسي : أي جبالاً ثوابت

وبارك فيها : أي في الأرض بكثرة المياه والزروع والضروع.

وقدر فيها أقواتها : أي أقوات الناس والبهائم.

في أربعة أيام : أي في تمام أربعة أيام وهي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء.

سواء للسائلين : أي في أربعة أيام هي سواء لمن يسأل فإنها لا زيادة فيها ولا نقصان.

ثم استوى إلى السماء : أي قصد بإرادته الربانية إلى السماء وهي دخان قبل أن تكون سماء.

فقضاهن سبع سموات في يومين: أي الخميس والجمعة ولذا سميت الجمعة جمعة لاجتماع الخلق فيها.

وأوحى في كل سماء أمرها[1] : أي ما أراد أن يكون فيها من الخلق والأعمال.

وزينا السماء الدنيا بمصابيح : أي بنجوم.

وحفظاً : أي وحفظناها من إستراق الشياطين السمع بالشهب الموجودة فيها.

ذلك تقدير العزيز العليم : أي خلق العزيز في ملكه العليم بخلقه.

معنى الآيات :

إنه بعد الإصرار على التكذيب والإنكار من المشركين أمر تعالى رسوله أن يقول لهم[2] ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ إن كفرهم عجب منكم هل تعلمون بمن تكفرون إنكم لتكفرون بالذي خلق الأكوان كلها علويها وسفليها في ستة أيام، أين يذهب بعقولكم ياقوم أتستطيعون جحود الله تعالى وجحود آياته وهذه الأكوان كلها آيات شاهدات على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته وموجبة له الربوبية عليها والألوهية له فيها دون غيره من سائر خلقه وأعجب من ذلك أنكم تجعلون له أنداداً أي شركاء تسوونهم به وهم أصنام لا تسمع ولا تبصر فكيف تُسوّىٰ بالذي خلق الأرض في يومين أي الأحد والاثنين، وهو رب العالمين أجمعين أي رب كل شيء ومليكه ومالكه.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٩) ﴿وجعل فيها﴾ أي في الأرض رواسي أي جبالا ثوابت ترسو في الأرض حتى لا تميد بأهلها ولا تميل فيخرب كل شيء عليها، ﴿وبارك فيها﴾ بكثرة المياه والرزق والضروع والخيرات ﴿وقدر فيها أقواتها﴾[3] تقديراً يعجز البيان عن وصفه، والقلم عن رقمه والآلات الحاسبة عن عِدّه. وذلك كله من الخلق والتقدير ﴿في أربعة أيام سواء﴾[4] لمن يسأل عنها إنها الأحد والأثنين والثلاثاء والأربعاء أي مقدرة بأيامنا هذه التي تكونت نتيجة الشمس والقمر والليل والنهار فلا تزيد يوماً ولا تنقص آخر.

---

(١) الوحي: الكلام الخفي، ويطلق الوحي على حصول المعرفة في نفس من يراد حصولها عنده دون قول، ومنه فأوحى اليهم أي أومأ اليهم بما يدل على معنى سبحوا بكرة وعشياً قال الشاعر:

يرمون بالخطب الطوال وتارة   وحي الملاحظ خيفة الرقباء

(٢) الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم أي لم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً؟ ومعنى الكفر به تعالى الكفر بانفراده بالألوهية. فلما أنكروا ألوهيته كان كإنكارهم صفات ذاته فصح أنهم كفروا به.

(٣) قال قتادة ومجاهد: خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها في يومي الثلاثاء والأربعاء.

(٤) أي في تتمة أربعة أيام.

وقوله ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ في الآية الثالثة (١٠) يخُبر تعالى أنه بعد خلق الأرض استوى إلى السماء أي قصد بإرادته التي تعلو فوق كل إرادة ﴿إلى السماء وهي دخان﴾ أي بخار وسديم ارتفع من الماء الذي كان عرشه تعالى عليه فقال لها كما قال ﴿للأرض[1] ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ أي طائعتين أو مكرهتين لابد من مجيئكما حسب ما أردت وقصدت فأجابتا بما أخبر تعالى عنهما في قوله: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ أي لم يكن لنا أن نخالف أمر ربنا، ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ وهما الخميس والجمعة، ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ أي ما أراد أن يخلقه فيها ويعمرها به من المخلوقات والطاعات. وقوله: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي النجوم وحفظاً أي وجعلناها أي النجوم حفظاً من الشياطين أن تسترق السمع فإن الملائكة يرجمونهم بالشهب من النجوم فيحترقون أويخبلون . وقوله: ﴿ذلك تقدير العزيز[2] العليم﴾ أي ذلك المذكور من الخلق والتقدير تقدير العزيز في ملكه أي الغالب على أمره العليم بتدبير ملكه وأعمال وأحوال خلقه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ الكفر بالله لا ذنب فوقه فما بعد الكفر ذنب، وهو عجيب وأعجب منه اتخاذ أصنام وأحجار أوثاناً تعبد مع الله الحي القيوم مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

٢ ـ بيان الأيام التي خلق الله فيها العوالم العلوية والسفلية وهي ستة أيام أي على قدر ستة أيام من أيام الدنيا هذه مبدوءة بالأحد منتهية بالجمعة، وقدرة الله صالحة لخلق السموات والأرض وبكل ما فيهما بكلمة التكوين «كن» ولكن لحكم عالية أرادها الله تعالى منها تعليم عباده الأناة والتدرج في إيجاد الأشياء شيئاً فشيئاً.

٤ ـ لا تعارض بين قوله تعالى في هذه الآية ثم استوى إلى السماء المشْعِر بأن خلق السموات كان بعد خلق الأرض، وبين قوله، والأرض بعد ذلك دحاها من سورة والنازعات المفهم أن دَحْوَ الأرض كان بعد خلق السماء، إذ فسر تعالى دَحْوَ الأرض بإخراج مائها ومرعاها وهو ما ترعاه الحيوانات التي سيخلقها عليها، ثم قوله خلق الأرض في يومين على صورة يعلمها هو ولا نعلمها نحن،

---

(١) قال ابن عباس قال الله تعالى للسماء اطلعي شمسك وقمرك وكواكبك وأجري سحابك ورياحك وقال للأرض شقي انهارك وأخرجي شجرك وثمارك طائعتين أو كارهتين ﴿قالتا أتينا طائعين﴾.

(٢) في الأحاديث الصحيحة ان الله خلق آدم يوم الجمعة وأنه آخر أيام الأسبوع وانه خيرها وأفضلها وأن اليهود والنصارى قد اختلفوا فيه فهدى الله الذين آمنوا اليه.

وتقدير الأقوات في قوله وقدر فيها أقواتها لا يستلزم أن يكون فعلا أظهر ماقدره إلى حيز الوجود ، وحينئذ لا تعارض بين مايدل من الآيات على خلق الأرض أولا ثم خلق السموات وهو الذي صرحت به الأحاديث إذ خلق الأرض في يومين وقدر الأقوات في يومين وبعد أن خلق السموات دحا الأرض فأخرج منها ما قدره فيها من أقوات وأرزاق الحيوانات حسب سنته في ذلك .

٤ ـ بيان فائدتين عظيمتين[1] للنجوم الأولى أنها زينة السماء بها تضاء وتشرق وتذهب الوحشة منها والثانية أن ترمي الشياطين بالشهب من النجوم ذات التأجج الناري .

فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

---

(١) والثالثة الاهتداء بها في معرفة البلاد والقبلة قال تعالى «والنجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر» .

شــرح الكلمـات :

فإن أعرضوا : أي كفار قريش عن الإيمان والتوحيد بعد ذلك البيان المفصل.

فقل أنذرتكم صاعقة : أي خوّفتكم صاعقة تنزل بكم فتهلككم إن أصررتم على هذا الكفر.

من بين أيديهم ومن خلفهم: أي أتتهم رسلهم تعرض عليهم دعوة الحق من أمامهم ومن ورائهم.

لو شاء ربنا لأنزل ملائكة : أي بدلاً عنكم أيها الرسل من البشر.

بغير الحق : أي بغير أن يأذن الله لهم بذلك العلو والاستكبار والتَّجبُّر.

ريحاً صرصراً : أي ذات صوت يسمع له صرصرة مع البرودة الشديدة.

في أيام نحسات : أي مشئومات عليهم لم يفلحوا بعدها.

ولعذاب الآخرة أخزى : أي أشد خزياً من عذاب الدنيا.

فاستحبوا العمى على الهدى : أي استحبوا الكفر على الإيمان إذ الكفر ظلام والإيمان نور.

الذين آمنوا وكانوا يتقون : أي الشرك والمعاصي.

معنى الآيات :

مازال السياق في طلب هداية قريش فقال تعالى : ﴿فإن أعرضوا﴾[1] بعد ذلك البيان الذي تقدم لهم في الآيات السابقة المبين لقدرة الله وعلمه وحكمته والموجب للإيمان بالله ولقائه وتوحيده فقل لهم أنذرتكم أي خوفتكم صاعقة[2] تنزل بكم إن أصررتم على إعراضكم مثل صاعقة عادٍ وثمود أي عذاباً مهلكاً كالذي أهلك الله به عاداً وثموداً.

وقوله : ﴿إذ جاءتهم الرسل﴾ وهم هود وصالح من بين أيديهم ومن خلفهم كناية أن الرسول بلغهم دعـوة الله لهم إلى الإيمـان والتوحيد بعناية فائقة فكان يأتيهم من أمامهم ومن خلفهم يدعوهم، قائلاً لهم : لا تعبدوا[3] إلا الله فإنه الإله الحق وما عداه فباطل فكان جوابهم لهم لا نؤمن لكم ولا نقبل منكم لو شاء[4] الله ما تقولون لنا لأنزل به ملائكة يدعوننا إليه لا أن يرسل مثلكم من البشر وأخيراً قالوا لهم فإننا بما أرسلتم به كافرون فأياسوا الرسل من إجابتهم. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٢) والثانية (١٣) وفي الآية الثالثة (١٤) بين تعالى حال القوم كلاً على حدة فقـال فأما عاد أي قوم[5] هود فاستكبروا في الأرض بغير الحق فحملهم الكبر الناجم عن القوة

(١) أي استمروا على إعراضهم بعد دعوتك إياهم والحاحك فيها.

(٢) الصاعقة حقيقتها أنها نار تخرج مع البرق تحرق ما تصيبه، وتطلق على الحادثة المبيدة السريعة الإهلاك.

(٣) جملة الا تعبدوا إلا الله تفسير لجملة وجاءتهم الرسل.

(٤) هذا قول عاد وثمود لرسوليهم هود وصالح فحكى بهذا اللفظ.

(٥) لما حكى الله تعالى قولتي عاد وثمود لرسوليهم وهو قولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة فصّل في هذه الآيات حال كل من القبيلتين إتماماً للتذكير بحالهما والموعظة بالعذاب الذي أصابهما فقال فأما عاد.. الخ.

المادية على رفض دعوة هود عليه السلام وقالوا فيه وفي دعوته الكثير وقد مر في سورة هود ويأتي في سورة الأحقاف مفصلا ما أجمل هنا، وقوله بغير الحق أي أن استكبارهم لاحق لهم فيه أولا لضعفهم أمام قوة الله عز وجل، وثانيا لم يأذن الله تعالى لهم بالاستكبار فهو بغير حق إذاً. وقوله: ﴿وقالوا من أشد[1] منا قوة﴾ وهذا منهم تحد صريح وعلو وعتو واضحان، ولذا تحداهم الله تعالى بالقوة فقال عز وجل أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة أي أَعَموا ولم يروا أن الله الذي خلقهم قطعا هو اشد منهم قوة. إذ كل قوة لهم مصدرها الله هو خالقهم وواهب القوة لهم، فقوتهم ليست ذاتية ولكنها موهوبة إذ يُخلق أحدهم وهو لايقدر على دفع أدنى شيء عن نفسه وقوله: وكانوا بآياتنا يجحدون هذا تسجيل عليهم أكبر ذنب وهو جحودهم بآيات الله التي جاء بها رسول الله هود عليه السلام كما جحدت قريش آيات الله، وقوله تعالى فأرسلنا أي بمجرد أن تأكد كفرهم بجحودهم بآيات الله أرسل الله تعالى عليهم ريحا صرصراً[2] أي باردة ذات صوت مزعج دامت سبع ليال وثمانية أيام فلم تبق منهم أحداً وهي أيام نحسات[3] عليهم مشؤمات قال تعالى لنذيقهم أي أرسلناها عليهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا. ولعذاب الآخرة أخزى أي أشد خزيا وإهانة لهم وذلة، وهم لاينصرون أي لا ناصر لهم من الله عز وجل. هذا بيان حال عاد. وأما ثمود[4] فقد قال تعالى وأما ثمود قوم صالح فاستحبوا الضلال على الهدى والكفر على الإيمان وقتلوا الناقة وهَمُّوا بقتل صالح فأخذتهم صاعقة العذاب الهون وذلك صباح السبت فأخذتهم صيحة انخلعت لها قلوبهم فرجفت الأرض من تحتهم فهلكوا عن آخرهم، وذلك بما كانوا يكسبون من الشرك والظلم والكفر والعناد. ونجىَّ الله تعالى صالحاً ومن معه من المؤمنين الذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والمعاصي وكانوا أربعة آلاف مؤمن ومؤمنة وهو معنى قوله تعالى في ختام الحديث: ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون.

---

(١) وهذا اغترار بقوة أجسامهم حين تهددهم هود بالعذاب.

(٢) أصلها من صرر من الصر وهو البرد فابدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل نحو كبكبوا أصلها كببوا وتجفجف الثوب أصلها تجفف والصرصر هي الشديدة البرودة قال الحطيئة:

المطعمون إذا هبت بصرصرة ... الحاملون إذا استودوا على الناس

ومعنى استودوا إذا سئلوا الدية.

(٣) قرأ نافع بسكون الحاء ويجوز كسرها وبه قرأ حفص على انه صفة مشبهة من نحس إذا أصابه النحس إصابة سوء أو ضر والنحسات بسكون الحاء جمع نحس.

(٤) شروع في تفصيل حال ثمود بعد عاد والهداية التي كانت لهم هداية إرشاد وتكليف بواسطة رسولهم صالح وما آتاهم الله من معجزة الناقة العظيمة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ التحذير من الإعراض عن إجابة دعوة الحق، والاستمرار في التمرد والعصيان.

٢ ـ تقرير التوحيد وهو أن لا إله إلا الله .

٣ ـ دعوة الرسل واحدة وهي الأمر بالكفر بالطاغوت، والإيمان بالله وعبادته وحده بما شرع للناس من عبادات.

٤ ـ التنديد بالاستكبار وأنه سبب الكفر والعصيان.

٥ ـ لا مصيبة إلا بذنب «بماكانوا يكسبون»[1] أي من الذنوب.

٦ ـ الإيمان والتقوى هما سبيل النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة وهما ركنا الولاية ولاية الله تعالى لقوله ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[2] الذين آمنوا وكانوا يتقون.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

---

(١) أي لقوله تعالى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون أي بسبب كسبهم السيئات.

(٢) الآية من سورة يوسف عليه السلام.

شـــرح الكلمـات:

فهم يوزعون : أي يحبس أولهم ليلحق آخرهم ليساقوا إلى النار مجتمعين.

حتى إذا ما جاءوها : أي حتى إذا جاءوها أي النار.

بما كانوا يعملون : أي من الذنوب والمعاصي.

وهو خلقكم أول مرة : أي بدأ خلقكم في الدنيا فخلقكم ثم أماتكم ثم أحياكم.

وما كنتم تستترون : أي عند ارتكابكم الفواحش والذنوب أي تستخفون من أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم فتتركوا الفواحش والذنوب.

ولكن ظننتم أن الله لا يعلم : أي ولكن عند ارتكابكم الفواحش ظننتم أن الله لا يعلم ذلك منكم.

أرداكم : أي أهلككم.

فإن يصبروا فالنار مثوى لهم : أي فإن صبروا على العذاب فالنار مثوى أي مأوى لهم.

وإن يستعتبوا : أي يطلبوا العتبى وهي الرضـا فلا يعتبون أي لا يرضى عنهم هذه حالهم أبداً.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في دعوة قريش إلى أصول الدين التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وفي هذا السياق عرض لمشهد من مشاهد القيامة وهو مشهد حَيْ رائع يعرض أمامهم.

إذ يقول تعالى: ويوم يحشر[1] أعداء الله إلى النار أي اذكر لهم يوم يحشر أعداء الله أي الذين كفروا به فلم يؤمنوا ولم يتقوا؛ إلى النار فهم يوزعون يحبس أولهم ليلحق آخرهم فيساقون مع بعضهم بعضا. حتى[2] إذا ما جاءوها أي انتهوا إليها، وادعوا أنهم مظلومون وأخذوا يتنصّلون من ذنـوبهم، وقـالوا إنهم لا يقبلون شاهداً من غير أنفسهم فيأمر الله تعالى أسماعهم وأبصارهم وجلودهم فتشهـد عليهم بمـا كانوا يعملون، وهو قوله تعالى: ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ وهنا رجعوا إلى جلودهم يلومون عليهم ويعتبون وهو ما أخبر تعالى به في قوله: وقالوا لجلودهم ﴿لِمَ شهدتم[3] علينا﴾ فأجابتهم جلودهم بما أخبر تعالى عنهم في هذا السياق ﴿قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول

---

(١) يحشرون إلى النار أي يجمعون ويساقون إليها.

(٢) حرف ابتداء في اللفظ أي ان ما بعدها جملة مستأنفة إلا أنها تفيد معنى الغاية «وما» في ما جاءوها مزيدة للتوكيد.

(٣) شهادة جلودهم وجوارحهم عليهم هي شهادة تكذيب وافتضاح وإلا إدانتهم متحققة بصحائف أعمالهم وإجراء ضمائر السمع والبصر والجلود بصيغة جمع العقلاء لأن التحاور معهم انزلهم منزلة العقلاء.

مرة﴾ أي النشأة الأولى في الدنيا ثم أماتكم ثم أحياكم ﴿وإليه ترجعون﴾ وهاأنتم قد رجعتم فالقادر على هذا كله قادر على أن ينطقنا وعلى كل شيء أراد إنطاقه، وقوله ﴿وما كنتم تستترون[1] أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ أي وما كنتم تستخفون فتتركوا محارم الله بل كنتم تجاهرون بذلك لعدم إيمانكم بالبعث والجزاء ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم﴾ وهو ظن سيء ﴿أرداكم﴾ أي أهلككم ﴿فأصبحتم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وهذا هو الخسران المبين وقوله تعالى في الآية الآخيرة من هذا السياق (٢٣) فإن يصبروا أي أعداء الله الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فالنار مثوى أي مأوى لهم لا يخرجون منها أبداً، وإن يستعتبوا أي يطلبوا العتبى أي الرضا فيرضى عنهم فيدخلوا الجنة ﴿فما هم بمتبعين﴾ أي فما هو بحاصل لهم أبداً فهم إذاً بشرِّ التقديرين والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض مفصل بحال أهل النار فيها.

٢ - التحذير من فعل الفواحش وكبائر الذنوب فإن جوارح المرء تشهد عليه.

٣ - التحذير من سوء الظن بالله تعالى ومن ذلك أن يظن المرء أن الله لا يطلع عليه. أولا يعلم ما يرتكبه، أو أنه لا يحاسبه أو لا يجزيه.

٤ - وجوب حسن الظن بالله تعالى وهو أن يرجو أن يغفر الله له إذا تاب من زلة زلها، وأن يرجو رحمته وعفوه إذا كان في حال العجز عن الطاعات ولا سيما عند العجز عن العمل للمرض والضعف كالكبر ونحوه فيغلب جانب الرجاء على جانب الخوف.

۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ

---

(١) في الصحيحين حادثة ذكرت أنها سبب نزول هذه الآية وهي أن عبدالله بن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشيان وآخر قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا. قال عبدالله فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وما كنتم تستترون﴾ الخ..

كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

وقيضنا لهم قرناء : أي وبعثنا لكفار مكة المعرضين قرناء من الشياطين.

فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم : أي حسنوا لهم الكفر والشرك، وإنكار البعث والجزاء.

وحق عليهم القول في أمم قد خلت : أي وجب لهم العذاب في أمم مضت قبلهم من الجن والإنس.

والغوا فيه لعلكم تغلبون : أي الغطوا فيه بالباطل إذا سمعتم من يقرأه.

ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون : أي بأقبح جزاء أعمالهم التي كانوا يعملون.

أعداء الله : أي من كفروا به ولم يتقوه.

أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس : أي إبليس من الجن، وقابيل بن آدم.

نجعلهما تحت أقدامنا : أي في أسفل النار ليكونا من الأسفلين.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة المعرضين من كفار قريش، فقال تعالى: ﴿وقيضنا[1] لهم﴾ أي بعثنا لهم قرناء من الشياطين، وذلك بعد أن أصروا على الباطل والشر فخبثوا خبثا سَهَّلَ لأخباث الجن الاقتران بهم فزينوا لهم الكفر والمعاصي القبيحة في الدنيا فها

(١) قيضنا: أتحنا وهيأنا لهم قرناء أي شياطين يلازمونهم قد يكونون من الجن ومن الإنس إذ الشياطين من الجنسين.

هم منغمسـون فيها، كما زينوا لهم الكفر بالبعث والجزاء وإنكار الجنة والنار حتى لا يقصـروا في الشـر ولا يفعلوا الخير أبـداً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم، وما خلفهم.

وقوله تعالى: ﴿فحق عليهم القول﴾ أي بالعذاب ﴿في أمم[1] قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ في حكم الله وقضائه بمقتضى سنة الله في الخسران. هذا ما دلت عليه الأولى (٢٥) وهي قوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين.﴾

وقوله تعالى في الآية الثانية (٢٦) ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا[2] لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ يخبر تعالى عن أولئك المعرضين عن كفار قريش وأنهم قالوا لبعضهم بعضا لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرأه محمد ﷺ حتى لا تتأثروا به، والغوا فيه أي الغطوا وصيحوا بكلام لهو وصفقوا وصفروا حتى لا يتأثر به من يسمعه من الناس لعلكم تغلبون أي رجاء أن تغلبوا محمداً على دينه فتبطلوه ويبقى دينكم. وهذا منتهى الكيد والمكر من أولئك المعرضين عن دعوة الإسلام.

وكان رد الله تعالى على هذا المكر في الآية التالية (٢٧) فلنذيقنَّ الذين كفروا عذابا شديداً يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأنه سيذيق الذين كفروا عذابا شديداً وذلك يوم القيامة وليجزينَّهم أسوأ أي أقبح الذي كانوا يعملون أي يجزيهم بحسب أقبح سيئاتهم التي كانوا يعملون. ثم قال تعالى: ذلك الجزاء المتوعَّد به الذين كفروا هو جزاء أعداء الله الذين حاربوا رسوله ودعوته وحتى كتابه أيضاً. وذلك الجزاء هو النار لهم[3] فيها دار الخلد أي الإقامة الدائمة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون فلم يؤمنوا بها ولم يعملوا بما فيها وقوله تعالى في الآية (٢٩) وقال الذين كفروا الآية

---

(١) في أمم حال من الضمير في عليهم أي حق عليهم حالة كونهم في امم أمثالهم قد سبقوهم والظرفية هنا مجازية بمعنى التبعيض أي هم من جملة أمم فدخلت من قبلهم قال الشاعر:

إن تك عن احسن الصنيعة مأفو   كافقي آخرين قد افكوا

(٢) قال ابن عباس كان النبي ﷺ وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته فكان أبو جهل وغيره يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا له والغوا فيه فكانوا يأتون بالمكاء والصفير والصياح وفي الصحيح انهم أخرجوا أبا بكر من مكة خوفا أن يفتن أبناءهم ونساءهم بقراءته القرآن لرقة صوته وبكائه.

(٣) دار الخلد هي النار نزلت النار منزل الظرف فكانت بذلك دار الخلد والخلد البقاء المؤبد في عالم الشقاء.

يخبر تعالى عن الكافرين وهم في النار إذ يقولون ربَّنا أي ياربنا أرنا اللَّذين[1] أضلانا من الجن والإنس أي اللذين كانا سببا في إضلالنا بتزيينهم لنا الباطل وتقبيحهم لنا الحق أرناهم نجعلهما تحت أقدامنا في النار ليكونا من الأسفلين[2] أي في الدرك الأسفل من النار إذا النار دركات واحدة تحت الأخرى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان سنة الله تعالى في العبد إذا أعرض عن الحق الذي هو الاسلام فخبث من جراء كسبه. الشر والباطل وتوغله في الظلم والفساد يبعث الله تعالى عليه شيطاناً يكون قريناً له فيزين له كل قبيح ، ويقبح له كل حسن.

٢ ـ بيان ما كان المشركون يكيدون به الإسلام ويحاربونه به حتى باللغو عند قراءة القرآن حتى لا يسمع ولا يهتدي به.

٣ ـ تقرير البعث والجزاء.

٤ ـ بيان نقمة أهل النار على من كان سببا في إضلالهم وإغوائهم ، ومن سن لهم سنة شريعملون بها كإبليس، وقابيل بن آدم عليه السلام. إذ الأول سن كل شر والثاني سن سنة القتل ظلما وعدوانا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

---

(١) أرنا أي عين لنا الذين اضلانا من الجن والإنس كناية عن إرادة الانتقام منهم بأن يطؤهم بأقدامهم انتقاماً منهم وتعذيباً لهم لأنهم كانوا السبب في شقوتهم قرأ الجمهور أرنا بكسر الراء وقرأ غيرهم بسكون الراء أرنا كما خففوا فخذ إلى فخذ بسكون الخاء.

(٢) هذا التعليل أرادوا به التوطئة لاستجابة الله تعالى لما علموا من غضب الله تعالى فأرادوا أن يتوسلوا إليه تعالى بذلك.

شـــرح الكلـمات :

قالوا ربنا الله : قالوا ذلك معلنين عن إيمانهم بأن الله هو ربهم الذي لا رب لهم غيره وإلههم الذي لا إله لهم سواه.

ثم استقاموا : أي ثبتوا على ذلك فلم يبدلوا ولم يغيروا ولم يتركوا عبادة الله بفعل الأوامر وترك النواهي.

تتنزل عليهم الملائكة : أي عند الموت وعند الخروج من القبر بحيث تتلقاهم هناك.

أن لا تخافوا ولا تحزنوا : أي بأن لا تخافوا مماأنتم مقبلون عليه فإنه رضوان الله ورحمته ولا تحزنوا عما خلفتم وراءكم.

نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة : أي فبحكم ولايتنا لكم في الدنيا والآخرة فلا تخافوا ولا تحزنوا.

ولكم فيها ما تدعون : أي ولكم فيها ما تطلبون من سائر المشتهيات لكم.

نزلا من غفور رحيم : أي رزقا مهيأ لكم من فضل رب غفور رحيم.

معنى الآيات :

لما بين تعالى حال الكافرين في الدار الآخرة وهي أسوأ حال بين حال المؤمنين في الآخرة وهي أحسن حال وأطيب مآل فقال إن الذين قالوا ربنا[1] الله أي لا ربَّ لنا غيره ولا إله لنا سواه، ثم استقاموا[2] فلم يشركوا به في عبادته أحداً فأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي وماتوا على ذلك هؤلاء تتنزل عليهم الملائكة أي تهبط عليهم وذلك عند الموت بأن تقول لهم لا تخافوا على ما أنتم مقدمون عليه من البرزخ والدار الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم وأبشروا[3] بالجنة دار السلام التي كنتم توعدونها في الكتاب وعلى لسان الرسول. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا إذا

---

(١) في صحيح مسلم عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك وفي رواية غيرك. قال: قل آمنت بالله ثم استقم وزاد الترمذي قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ؟ قال فأخذ بلسان نفسه وقال هذا.

(٢) ذكر القرطبي في تفسير الاستقامة أكثر من عشرة أقوال للصحابة والسلف، ثم قال وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها «اعتدلوا على طاعة الله عقداً وقولاً وفعلا وداوموا على ذلك».

(٣) قال وكيع وابن أبي زيد البشري في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث وشاهد هذا قوله ﷺ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قلنا يا رسول الله كلنا نكره الموت: قال ﷺ ليس ذلك كراهة الموت ولكن المؤمن إذا حُضِر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه قال وإن الفاجر والكافر إذا حُضِر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه قال ابن كثير وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه.

كنا نسددكم ونحفظكم من الوقوع في المعاصي، وفي الآخرة نستقبلكم عند الخروج من قبوركم حتى تدخلوا جنة ربكم. ولكم فيها أي في الجنة ما تشتهي أنفسكم من الملاذ ولكم فيها ما تدعون أي تطلبون مما ترغبون فيه وتشتهون. نزلا أي قرىً وضيافة من لدن رب غفور لكم رحيم بكم لا إله إلا هو ولا رب سواه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ فضل الإيمان والاستقامة عليه بأداء الفرائض واجتناب النواهي.

٢ ـ بشرى أهل الإيمان والاستقامة عند الموت بالجنة وهؤلاء هم أولياء الله المؤمنون المتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وهي هذه وفي الآخرة عند خروجهم من قبورهم.

٣ ـ في الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين، ولأحدهم كل ما يطلبه ويدعيه وفوق ذلك النظر إلى وجه الله الكريم وتلقي التحية منه والتسليم.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

شـرح الكلمـات :

ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله : أي لا احد احسن قولا منه أي ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته.

وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين : وعمل صالحاً وهي شرط أيضا وقال إنني من المسلمين شرط ثالث.

ولا تستوي الحسنة ولا السيئة : أي لا تكون الحسنة كالسيئة ولا السيئة كالحسنة.

ادفع بالتي هي أحسن : أي ادفع أيها المؤمن السيئة بالخصلة التي هي أحسن كالغضب بالرضى، والقطيعة بالصلة.

كأنه ولي حميم : أي كأنه صديق قريب في محبته لك إذا فعلت ذلك.

وما يلقاها إلا الذين صبروا : أي وما يعطي هذه الخصلة التي هي أحسن.

إلا ذو حظ عظيم : أي ثواب عظيم وأجر جزيل هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالخلق الحسن والكمال.

وإما ينزغنك من الشيطان نزغ : أي وإن يوسوس لك الشيطان بترك خير أو فعل شر.

فاستعذ بالله : أي فاستجر بالله قائلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

إنه هو السميع العليم : أي هو تعالى السميع لأقوال عباده العليم بما يصيبهم وينزل بهم.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى بشرى أهل الإيمان وصالح الأعمال ذكر هنا بشرى ثانية لهم أيضا فقال: ﴿ومن[1] أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ هذه ثلاثة شروط الأول دعوته إلى الله تعالى بأن يعبد فيطاع ولايعص ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر والثاني وعمل صالحاً فأدى الفرائض واجتنب المحارم، والثالث وفاخر بالإسلام معتزاً به وقال إنني من المسلمين، فلا أحد أحسن قولا من هذا الذي ذكرت شروط كما له، ويدخل في هذا أولا الرسل، وثانيا العلماء، وثالثا المجاهدون ورابعاً المؤذنون وخامسا الدعاة الهداة المهديون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٣). وقوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ هذا تقرير إلهي يجب أن يعلم وهو أن الحسنة لا تستوي[2] مع السيئة وأن السيئة لا تستوي مع الحسنة فالإيمان لا يساوي بالكفر، والتقوى لا تساوي بالفجور، والعدل لايساوىٰ بالظلم.

كما أن أن جنس الحسنات لا يتساوى، وجنس السيئآت لا يتساوى بل يتفاضل فصيام رمضان لايساوي بصيام رجب أو محرم تطوعاً، وسيئة قتل المؤمن لا تستوي مع شتمه أو ضربه وقوله

---

(١) يدخل في هذه الآية دخولاً أوليا رسول الله ﷺ إذ هو احق وأجدر وهي نازلة فيه رداً على الذين يلغون في القرآن عند سماعه وهي تتناول كل مؤمن متصف بهذه الصفات المعبر عنها في التفسير بالشروط.

(٢) لا في قوله ولا السيئة صلة زيدت للتأكيد إذ الأصل ولا تستوى الحسنة والسيئة وشاهدها قول الشاعر:

ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر

تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾[1] أي بعد أن عرفت يارسولنا عدم تساوي الحسنة مع السيئة إذاً فادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن من غيرها فإذا الذي بينك[2] وبينه عداوة قد انقلب في بره بك واحترامه لك واحتفائه بك كأنه ابن عم لك يحبك ويحترمك ولما كانت هذه الخصلة وهي الدفع بالتي هي أحسن لا تتأتى إلا لذوي الأخلاق الفاضلة والنفوس الكاملة الشريفة قال تعالى: ﴿ومايلقاها﴾ أي وما يعطي هذه الخصلة ﴿إلا الذين صبروا﴾ فكان الصبر خلقاً من أخلاقهم ﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ في الأخلاق والكمال النفسي، في الدنيا، والأجر العظيم وهو الجنة في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ[3] بالله إنه هو السميع العليم﴾ يرشد الرب تعالى عبده ورسوله وكل فرد من أفراد أمته إن نزغه من الشيطان نزغ بأن وسوس له بفعل شر أو ترك خير، أو خطر له خاطر سوء أن يفزع إلى الله تعالى يستجير به فإن الله تعالى هو السميع العليم فالاستجارة به من الشيطان تَحْمِي العبد وتقيه من وسواس الشيطان وما يلقيه في النفس من خواطر سيئة، ولله الحمد والمنة على هذه الارشاد الرباني الذي لا يستغنى عنه أحد من عباده.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف الدعاة العاملين.

٢ ـ فضل الإسلام والاعتزاز به والتفاخر الصادق به.

٣ ـ تقرير أن الحسنة لا تتساوى مع السيئة. كما أن الحسنات تتفاوت والسيئآت تتفاوت.

٤ ـ وجوب دفع السيئة من الأخ المسلم بالحسنة من القول والفعل.

٥ ـ فضل العبد الذي يكمل في نفسه وخلقه فيصبح يدفع السيئة بالحسنة.

---

(١) قال ابن عباس ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك. وقيل أيضا هو الرجل يسب الرجل فيقول المسبوب إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك وقال مجاهد هي أن يسلم المرء على من يعاديه إذا لقيه فهو معنى (بالتي هي أحسن).

(٢) قال ابن عباس في هذه الآية ادفع بالتي هي أحسن إلى قوله ولي حميم أمره الله تعالى بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وهو كما قال رضي الله عنه.

(٣) فائدة الاستعاذة بالنسبة إلى الرسول ﷺ تجديد داعية العصمة المركوزة في نفس النبي ﷺ لأن الاستعاذة بالله من الشيطان استمداد للنعمة وصقل للنفس مما يغان على القلب كما قال الرسول ﷺ «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة».

٦ ـ وجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم إذا وسوس أو ألقى بخاطر سوء إذ لا يقي منه ولا يحفظ إلا الله السميع العليم.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات:

ومن آياته: أي ومن جملة آياته الدالة على ألوهية الرب تعالى وحده.

الليل والنهار: أي وجود الليل والنهار والشمس والقمر.

لا تسجدوا للشمس ولا للقمر: أي لا تعبدوا الشمس ولا القمر فإنهما من جملة مخلوقاته الدالة عليه.

إن كنتم إياه تعبدون: أي إن كنتم حقا تريدون عبادته فاعبدوه وحده فإن العبادة لا تصلح لغيره.

فالذين عند ربك: أي الملائكة.

وهم لا يسأمون: أي لا يملون من عبادته ولا يكلون.

ترى الأرض خاشعة: أي يابسة جامدة لا نبات فيها ولا حياة.

اهتزت وربت: أي تحركت، وانتفخت وظهر النبات فيها.

إن الذي أحياها لمحيي الموتى: أي إن الذي أحيا الأرض قادر على إحياء الموتى يوم القيامة.

معنى الآيات :

قوله تعالى ومن آياته أي ومن جملة آياته العديدة الدالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته والموجبة للإيمان به وعبادته وتوحيده، الليل والنهار وتعاقبهما وانتظام ذلك بينهما فليس الليل سابق النهار، وكذا الشمس والقمر خلقهما وسيرهما في فلكيهما بانتظام ودقة فائقة وحساب دقيق وعليه فلا تسجدوا[1] للشمس ولا للقمر أيها الناس فانهما مخلوقان من جملة المخلوقات، ولكن اسجدوا لخالقهما إن كنتم إياه تعبدون[2] كما تزعمون. ثم قال تعالى: لرسوله فإن أبوا أن يستجيبوا لك ويسمعوا ما قلت لهم مستكبرين فاعلم أن الذين عند ربك وهم الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون من ذلك ولا يملون.

وقوله: ومن آياته أي علامات قدرته على إحياء الموتى[3] للبعث والجزاء إنك أيها الإنسان ترى الأرض أيام المحل والجدب هامدة جامدة لا حركة لها فإذا أنزل الله تعالى عليها ماء المطر اهتزت وربت أي تحركت تربتها وانتفخت وعلاها النبات وظهرت فيها الحياة كذلك إذا أراد الله إحياء الموتى أنزل عليهم ماء من السماء وذلك بين النفختين نفخة الفناء ونفخة البعث فينبتون كما ينبت البقل وقوله: إن الذي أحياها بعد موتها لمحيي الموتى إنه تعالى على فعل كل شيء أراده قدير لا يمتنع عنه ولا يعجزه، وكيف لا، وهو إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون.

هداية الآيات :

. من هداية الآيات :

١ ـ تقرير التوحيد بالأدلة القطعية الموجبة لله العبادة دون غيره من خلقه.

٢ ـ بيان أن هناك من الناس من يعبدون الشمس ويسجدون لها من العرب والعجم وأن ذلك شرك باطل فالعبادة لا تكون للمخلوقات الخاضعة في حياتها للخالق وإنما تكون لخالقها ومسخرها لمنافع خلقه.

٤ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر دليل من أظهر الأدلة وهو موت الأرض بالجدب ثم حياتها

---

(١) لا شك أن هناك من كان يسجد للشمس في بلاد العرب ففي اليمن كانوا يعبدون الشمس على عهد ملكة سبأ لقوله تعالى على لسان الهدهد ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ ووجد في أصنام قريش صنم يقال له شمس ولذا سموا عبد شمس.

(٢) لا شك أن هنا سجدة من عزائم السجدات إلا أنهم اختلفوا في موضع السجود فمالك يرى انه يسجد عند قوله ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم يرى السجود عند ﴿وهم لا يسأمون﴾ والأمر واسع ففي أي الموضعين سجد أجزأ والحمد لله.

(٣) في الآية تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد تقرير عقيدة الألوهية وسيأتي في الآيات بعد تقرير النبوة المحمدية وهذه أعظم أركان العقيدة الإسلامية. التوحيد البعث والجزاء والنبوة وباقي أركان العقيدة تابعة لهذه الأركان العظيمة.

بالغيث، إذ لا فرق بين حياة النبات والأشجار في الأرض بالماء وبين حياة الإنسان بالماء كذلك في الأرض بعد تهيئة الفرصة لذلك بعد نفخة الفناء ومضي أربعين عاماً عليها ينزل من السماء ماء فيحيا الناس وينبتون من عجب الذنب كما ينبت النبات، بالبذرة الكامنة في التربة.

٥ ـ تقرير قدرة الله على كل شيء أراده، وهذه الصفة خاصة به تعالى موجبة لعبادته وطاعته. بعد الإيمان به وتأليهه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

شـــرح الكلمـات:

يلحدون في آياتنا : أي يجادلون فيها ويميلون بها فيؤلونها على غير تأويلها لابطال حق أو إحقاق باطل.

لا يخفون علينا : أي إنهم مكشوفون أمامنا وسوف نبطش بهم جزاء إلحادهم.

أم من يأتي آمنا يوم القيامة : أي نعم الذي يأتي آمناً يوم القيامة خير ممن يلقى في النار.

اعملوا ما شئتم : هذا تهديد لهم على إلحادهم وليس إذناً لهم في العمل كما شاءوا.

إن الذين كفروا بالذكر : أي جحدوا بالقرآن أو الحدوا فيه فكفروا بذلك.

وإنه لكتاب عزيز : أي القرآن لكتاب عزيز أي منيع لا يقْدَر على الزيادة فيه ولا النقص منه.

لا يأتيه الباطل من بين يديه: أي لا يقدر شيطان من الجن والإنس أن يزيد فيه شيئاً وهذا معنى من بين يديه.

ولا من خلفه. : أي ولا يقدر شيطان من الجن ولا من الإنس أن ينقص منه شيئاً

وهـذا معنى من خلفه، كما أنه ليس قبله كتاب ينتقصه، ولا بعده كتاب ينسخه، فهو كله حق وصدق ليس فيه ما لايطابق الواقع.

معنى الآيات :

يتوعد الجبار عز وجل الذين يلحدون في آيات كتابه بالتحريف والتبديل والتغيير بأنهم لايخفون عليه، وأنه سينزل بهم نقمته إن لم يكفوا عن إلحادهم.

وقوله: أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة إذا كان لايوجد عاقل يقول الذي يلقى في النار خير ممن يأتي آمناً يوم القيامة فالإلقاء في النار سببه الكفر والإلحاد والباطل فليترك هذه من أراد النجاة من النار، والأمن يوم القيامة من كل خوف من النار وغيرها سببه الإيمان والتوحيد فليؤمن ويوحد الله تعالى في عبادته ولا يلحد في آياته من أراد الأمن يوم القيامة بعلمه انه خير من الإلقاء في النار. هذا أسلوب في الدعوة عجيب انفرد به القرآن الكريم.

وقوله تعالى : ﴿اعملوا ما شئتم[1] إنه بماتعملون[2] بصير﴾هذا الكلام يقال للمستهترين بالأحكام الشرعية المستخفين بها فهو تهديد لهم وليس إذناً وإباحة لهم أن يفعلوا ما شاءوا من الباطل والشرك والشر، ويدل على التهديد قوله بعد إنه بما تعملون بصير.

ومثله قوله إن الذين[3] كفروا بالذكر أي القرآن، وإنه لكتاب عزيز[4] أي منيع بعيد المنال لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه بالزيادة والنقصان أو التبديل والتغيير.

ولما كان المراد من هذا الكلام التهديد سكت عن الخبر إذ هو أظهر من أن يذكر والعبارة قد تقصر عن أدائه بالصورة الواقعة له. وقد يقدر لنفعلن بهم كذا وكذا...

وقوله تنزيل من حكيم حميد أي القرآن المنيع كما له وشرفه ومناعته أتته أنه تنزيل من حكيم في أفعاله وسائر تصرفاته حميد بذلك وبغيره من فواضله وآلائه ونعمه.

---

(١) الأمر هنا ليس للإباحة وإنما هو للتهديد كما في التفسير.

(٢) قوله ﴿ إنه بما تعملون بصير﴾ الجملة تعليلية متضمنة الوعيد والتهديد فهي مؤكدة لما تضمنه قوله تعالى ﴿اعملوا ما شئتم﴾ من التهديد.

(٣) الخبر مقدر تقديره: هالكون أو معذبون وما ذكر في التفسير في تقدير الخبر حسن.

(٤) معنى عزيز ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ حرمة الإلحاد في آيات الله بالميل بها عن القصد والخروج بها إلى الباطل.

٢ ـ التهديد الشديد لكل من يحرف آيات الله أويؤولها على غير مراد الله منها.

٣ ـ تقرير مناعة القرآن وحفظ الله تعالى له، وأنه لا يدخله النقص[1] ولا الزيادة إلى أن يرفعه الله إليه إذ منه بدأ وإليه يعود.

مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

---

(١) تضمنت الآية ست صفات للقرآن العظيم هي كالتالي: انه ذكر يذكر الناس بما يغفلون عنه. أنه ذكر للعرب أي شرف لهم كقوله ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ أنه كتاب عزيز والعزيز النفيس والمنيع ،أيضاً إذ أعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله انه لا يتطرق إليه الباطل ولا يخالطه بحال انه مشتمل على الحكمة وهو حكيم وذو حكمة وحاكم أيضا وانه تنزيل من حميد والحميد المحمود حمداً كثيراً.

شـــرح الكلمـات:

ما يقال لك : أي من التكذيب أيها الرسول محمد ﷺ.

إلا ما قد قيل للرسل من قبلك : أي من التكذيب لهم والكذب عليهم.

ان ربك لذو مغفرة : أي ذو مغفرة واسعة تشمل كل تائب إليه صادق في توبته.

وذو عقاب أليم : أي معاقبة شديدة ذات ألم موجع للمصرين على الكفر والباطل.

ولو جعلناه قرءاناً أعجمياً : أي القرآن كما اقترحوا إذ قالوا: هلا أنزل القرآن بلغة العجم.

لقالوا: لولا فصلت آياته : أي بينت حتى نفهمها.

أأعجمي وعربي : أي أقرآن اعجمي والمنزل عليه وهو النبي عربي يستنكرون ذلك تعنتاً منهم وعناداً ومجاحدة.

هدى وشـــفاء : أي هدى من الضلالة، وشفاء من داء الجهل وما يسببه من أمراض.

والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر: أي ثقل فهم لايسمعونه وهو عليهم عمى فلا يفهمونه.

أولئك ينادون من مكان بعيد : والمنادي من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادي له.

ولقد آتينا موسى الكتاب : أي التوراة.

فاختلف فيه : أي بالتصديق والتكذيب وفي العمل ببعض ما فيه وترك البعض الآخر كما هي الحال في القرآن الكريم.

ولولا كلمة سبقت من ربك : أي ولولا الوعد بجمع الناس ليوم القيامة وحسابهم ومجازاتهم هناك.

لقضي بينهم : أي لحكم بين المختلفين اليوم وأُكرم الصادقون وأُهين الكاذبون.

وما ربك بظلام للعبيد : أي وليس ربك يارسولنا بذي ظلم للعبيد.

معنى الآيات:

بعد توالي الآيات الهادية من الضلالة الموجبة للإيمان كفار قريش لايزيدهم ذلك إلا عناداً واصراراً على تكذيب الرسول والكفر به وبما جاء به من عند ربه، ولما كان الرسول بشراً يحتاج إلى عون حتى يصبر أنزل تعالى هذه الآيات في تسليته ﷺ وحمله على الثبات والصبر فقال

تعالى: ﴿ما يقال لك﴾[1] يارسولنا من الكذب عليك والتكذيب لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك.
وقوله تعالى: إن ربك لذو مغفرة أي لمن تاب فلذا لا يتعجل بإهلاك المكذبين رجاء أن يتوبوا ويؤمنوا ويوحدوا، وذو عقاب أليم أي موجع شديد لمن مات على كفره.

وقوله تعالى: ولو جعلناه قرآناً أعجمياً أي كما اقترح بعض المشركين، لقالوا: لولا فصلت آياتــه أي هلاّ بُينت لنـا حتى نفهمهـا، ثم قالـوا: أأعجمي[2] وعـربي أي أقـرآنـاً[3] عجمي ونبي عربي مُسْتَنكِرِينَ ذلك متعجبين منه وكل هذا من أجل الإصرار على عدم الإيمان بالقرآن الكريم والنبي الكريم وتوحيد الرب الكريم.

ولما علم تعالى ذلك منهم أمر رسوله أن يقول لهم قل هو أي القرآن الكريم هدى وشفاء[4] هدى يهتدي به إلى سبل السعادة والكمال والنجاح، وشفاء من أمراض الشك والشرك والنفاق والعجب والرياء والحسد والكبر، والذين لا يؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً هو أي القرآن في آذانهم وقر أي حمل ثقيل أولئك ينادون من مكان بعيد ولذا فهم لايسمعون ولا يفهمون.

هذه تسلية وأخرى في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة فاختلفوا فيه فمنهم المصـدق ومنهم المكـذب، ومنهم العـامل بما فيه المطبق ومنهم المعرض عنه المتبع لهواه وشيطانه الذي أغواه وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت[5] من ربك لقضي بينهم فيما اختلفوا فيه لحكم لأهل الصدق بالنجاة وأهل الكذب بالهلاك والخسران وقوله: وإنهم لفي شك منه أي من القرآن مريب أي موقع في الريبة وذلك من جراء محادته والمعاندة والمجاحدة، وقوله: من عمل صالحاً فلنفسه وهذه تسلية أعظم فإن من عمل صالحاً في حياته بعد الإيمان فإن جزاءه قاصر عليه ينتفع به دون سواه، ومن أساء أي عمل السوء وهو ما يسوء النفس من الذنوب والآثام فعلى نفسه عائد. سوءه الذي عمله ولا يعود على غيره، وأُخرىَ في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد[6] أي ليس هو تعالى بذي ظلم لعباده. فقوله تعالى من عمل صالحاً فلنفسه عائد ذلك ومن أساء فعليها أي عائد الإساءة إن فيه لتسلية لكل من أراد أن يتسلى ويصبر.

(١) الجملة مستأنفة استئنافا بيانياً فهي جواب لسؤال يثيره قوله تعالى ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾ الخ.

٢) في الآية إشارة واضحة إلى عموم رسالته ﷺ.

(٣) معنى قرآنا كتابا مقروءا إذ ورد في الحديث الصحيح تسمية الزبور قرآناً بمعنى يقرأ ويكتب إذ قال ﷺ «إن داود يسر له القرآن فكان يقرأ القرآن كله «الزبور» في حين يسرج له فرسه.

(٤) حقيقة الشفاء زوال المرض وهو هنا مستعار للبصارة بالحقائق وانكشاف الالتباس من النفس كما يزول المرض عند حصول الشفاء.

(٥) فيه تسلية للرسول ﷺ على تكذيب المشركين وكفرهم بالقرآن بأنه ليس بأوحد في ذلك فقد أوتي موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب والعمل والترك.

(٦) المراد بنفي الظلم من الله للعبيد انه لا يعاقب من ليس منهم بمجرم، لانه تعالى لما وضع الشرائع وأرسل الرسل صار ذلك قانوناً فمن تعداه مهملاً له معرضاً عنه فقد استوجب العذاب وتعذيبه عدل وليس بظلم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تسلية الرسول أي حمله على الصبر والسلوان ليواصل دعوته إلى نهايتها.

٢ ـ بيان مدى ما كان عليه المشركون من التكذيب للرسول والمعاندة والمجاحدة.

٣ ـ القرآن دواء وشفاء لأهل الإيمان، وأهل الكفر فهم على العكس من أهل الإيمان.

٤ ـ بيان سنة الله في الأمم السابقة في اختلافها على أنبيائها وما جاءتها به من الهدى والنور.

٥ ـ قوله تعالى ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ أجرى مجرى المثل عند العالمين.

٦ ـ نفي الظلم عن الله مطلقاً.[1]

---

(١) فقد روى مسلم ان النبي ﷺ قال يقول الله تعالى يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. وأيضاً فالله هو الملك وهل ما يفعله الملك العليم الرحيم العادل في ملكه وعبيده يقال له ظلم؟ والجواب لا.